مركز القائمية اصبهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

بين يدى الرسول الأعظم(ص)

بسم الله الرحمن الرحيم

نهضة ترجمة
Translation Movement

بين يدى الرسول الأعظم(ص)

كاتب:

محمد بحرالعلوم

نشرت فى الطباعة:

دارالزهراء

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ۵
بین یدی الرسول الأعظم(ص) ۶
اشارة ۶
مع الکاتب ۶
فی البدایة ۶
حمزة بن عبدالمطلب ۷
یاسر بن عامر ۱۱
سلمان الفَارسی ۱۴
الحباب بن عبدالله بن أبی ۱۸
سعد بن الربیع ۲۱
مصعب بن عمیر ۲۳
الخباب بن الأرت ۲۷
بلال بن رباح الحبشی ۲۷
المقداد بن الأسود ۳۰
ابورافع ۳۲
جعفر بن ابیطالب ۳۴
فی النهایة ۳۶
پاورقی ۳۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۳۷

بین یدی الرسول الأعظم(ص)

اشارة

سرشناسه : بحرالعلوم محمد، - ۱۹۲۸

عنوان و نام پدیدآور : بین یدی الرسول الاعظم ص / محمد بحرالعلوم

مشخصات نشر : بیروت دار الزهرا(ع) ، ۱۳۹۲ق = ۱۳۹۹ - ۱۳۵۱ق = ۱۳۵۷.

مشخصات ظاهری : ج ۳

فروست : (فی السیره و التاریخ۱)

شابک : بها:۵۰۰ق ل (ج ۱)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه

موضوع : صحابه

رده بندی کنگره : BP۲۸/۶/ب۳ب۹ م

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۴

شماره کتابشناسی ملی : م۶۳-۴۶۶

مع الکاتب

لم تکن فصول هذا الکتاب قصصاً، أحاول فیها تسلیة القارئ الکریم، کما لم یکن الأساس منها التعریف بأبطالها، فهم أشهر من التعریف، خلدوا التاریخ الإسلامی، وصوروا جوانب السیرة بأحلی صوره.. إنما الواقع هی فصول من السیرة النبویة الشریفة. رأیت أن أعرضها بهذا الأسلوب بعیدة عن التعقید والإطالة، وبطریقة - أحسب أن القارئ الذی أکتب له - یمکن أن ینشدَّ الیها، ویبقی علی اتصال معها.ونحن الیوم بحاجة لهذه الصور الحیة، وتذکر هؤلاء الأبطال الذین عاشوا قضیتهم الأساسیة بکل وعی، وأدرکوا بعمق مفهوم الدعوة التی آمنوا بها، فأخلصوا لها، وتفانوا فی سبیلها وضحوا من أجلها.. فکانوا اللبنة الأولی لصرح الإیمان والعقیدة والطلیعة الفذة للمجد الإسلامی، المتسلق شاهق السنین والممتد عبر الأیام، لن تبلی خضرته، ولن تغرب شمسه.ورجائی من الحق أن یساعدنی علی کتابة کل السیرة النبویة وألحقها بسیرة آل البیت، الأئمة المیامین، وأکون بذلک قد أرضیت ضمیری، وأدیت واجباً دینیاً..ولا أُبالغ إذا قلت: إن دافعی لکتابة هذه الفصول - وإن کانت الفکرة تدور فی ذهنی منذ زمن - نتیجة عاملین:الأول: قناعتی الشخصیة بضرورة ارتباط الفرد المسلم علی الدوام بسیرة الرسول الأعظم، والأئمة الطاهرین، والشخصیات الرائدة فی الإسلام، وهذه الصلة المستمرة تحفظ عقیدته من الانزلاق.الثانی: إصرار أخی العزیز السید مهدی - صاحب دار الزهراء - بأن أسهم فی مشروعه، وخاصة هو فی بدایة الطریق ولیس من باب الأخوة فقط أن أبادر إلی الاستجابة له، وتنفیذ طلبه، بل إیمانی بأنه اختط لنفسه طریقاً - فی عمله - إسلامیاً واضحاً فی دعم الجانب الإعلامی فی معرکة المصیر.. وهذا ما یدعو إلی التفاؤل له بالموفقیة والاستمرار.وأخیراً: أملی باللّه سبحانه أن یحقق آمال (دار الزهراء) فی خدمة الفکر الإسلامی ویجند صاحبها فی میدان العقیدة، ویساعدنی علی إتمام هذه السلسلة، ویشق للکتاب طریقه بما یرضی القراء وهو من وراء القصد..محمد السید علی بحر العلوم بیروت۸ / ۱۲ / ۱۹۷۲

فی البدایة

رغم أن فترة من الزمن تمر على مكة والمدينة بعد غزو الجيش الأموى لهما بقيادة مسلم بن عقبة المرى، فإن ذكرى الحوادث المريرة، وصور المآسى القاسية كانت تطغى على كل ناد ومجلس سمر.وكانت جراح مدينة الرسول – على الخصوص – لم تلتئم بعد. فقد غزاها الجيش الأموى بأمر من يزيد بن معاوية، وبعد أن خلعت بيعته، وأمرت عليها والياً جديداً – هو عبد اللّه بن حنظلة بن أبى عامر – وفعل الجيش الغازى ما فعل بوحى من شعوره المجرم وحقده الطويل، ولم يقف بوجهه أى رادع دينى أو إنسانى.ولم يكن نصيب مكة بأقل مما أصاب المدينة، فقد حرقت الكعبة المشرفة ولم يبقَ بيت منها – عدا بيوت الأمويين – إلا سلب ونهب.وكانت حلقات السمر، ومجالس الليل تعج بأخبار هذه الحوادث وفظاعتها بما يعصر القلوب حزناً، ويرهق العيون تأثراً.ومرة امتد السهر بإحدى الحلقات المنتشرة فى فناء المسجد النبوى حتى كادت تحاذى السحر فى سهرتها، أو تتجاوزه بقليل وهى تعيد ألماً على ألم، وتجتر حزناً على حزن.ويلتفت أحد الجالسين إلى صاحبه – وهو متضايق من الحديث الذى يجدد الذكرى المؤلمة، ويعيد عليهم صورة المأساة الفظيعة – قائلاًـ وهو يقطع الكلمات من الأسى: أما آن لنا أن نطوى حديث الأمويين وفجائعهم، ونحاول أن نخفف عن مصائبنا بما يساعدنا على تحمل مشاكل حياتنا.ولم يكن الزميل بأقل منه ضيقاً وبرماً بهذه الأحاديث المروعة، وما أن سمع هذا الرأى حتى استجاب له.وتسرب الإقتراح للباقين، وكأنه أيقظهم من سبات، ونبههم إلى شىء كان قد غاب عن أذهانهم.. وقالوا: ولنا عند الشيخ أبى معاذ ما نبتغيه، فهو محدث رائع، عذب الأسلوب، حلو الكلمة، ورجل مسنّ جاوز عتبة الثمانين، رافق الأيام فكان فيها عيناً لا تغمض، وعاش الحوادث فحفظ من أخبارها الشىء الكبير.ولم يلقَ القوم من أبى معاذ أى امتناع، فقد استجاب للطلب وصادف فى نفسه قبولاً.وصار يحدث أصدقاءه فى لياليه بما سيمر علينا..

حمزة بن عبدالمطلب

أقبل الليل، وأخذ الشيخ أبو معاذ طريقه إلى ندوته واستقبله القوم بالترحاب، وحيّاهم ببسمته الهادئة، وأدار عينيه الذابلتين فى وجوه الجالسين، كأنه يتفحصهم، ويتعرف عليهم وبدَتْ لهم من خلال نظراته العميقة رفة حب، وتصاعدت من بين أنفاسه المتعبة هزة حنان.وبقى الشيخ صامتاً شيئاً من الوقت، ولعله يستجلى ذاكرته فى صور الماضى وأحداث الأمس.. ثم تكلم، وهو يصوغ حديثه بأسلوبه الجميل..ذكّرتنى جلستنا هذه بمجالسنا الماضية، يوم كانت الحلقات تنتشر فى فناء الكعبة، وكنت – حينذاك – أرافق أبى فى سهراته.. وكان حديث الطارق الجديد يدور فيها، وهو السائد عليها.. فقد أقضَّ مضاجع قريش، وأطار نومها من عيونها وشتت صوابها.. حديث محمد ودعوته.ولم يكن رسول اللّه ببعيد عن قريش، ومكة.. فهو: حفيد عبد المطلب، سيد بنى هاشم.. وهاشم، عمرو بن عبد مناف ينتهى إلى عدنان، وهو الذى ما طعمت مكة ولاـ سقيت من يدين أبسط من كفيه، وأندى من راحتيه، وأجمل من خلقه..وما أن نامت عين هذا الانسان العظيم: على هذه الجوانب الانسانية الرائعة، حتى فتحتها على ولده عبد المطلب، شيبة الحمد..وكان هذا الرجل قد بلغ فى قريش خاصة، والعرب عامة منزلة لم يكد يبلغها أحد.. وحتى قالت العرب فيها قولتها المعروفة: (لو كان نبى على عهد عبد المطلب لكان هو نبى العرب).وهو: ابن (عبد اللّه) أحد أولاد عبد المطلب العشرة الذين إذا طافوا بالبيت أخذوا بالأبصار، وجمعوا القلوب الطيبة حولهم.وهو: ذلك اليتيم الذى لم يعرف من حنان الأبوة ما يشدُّ به عظمه، فقد مات عنه أبوه، بعد زواجه من أمه آمنة بنت وهب بفترة قصيرة، فتركه حملاً، أو رضيعاً على اختلاف فى الروايات.فتعهّده جده عبد المطلب – زعيم الهاشميين، وكبير قريش وشخصية مكة، وسيد العرب – فنشأ فى ظله موفور الكرامة عزيز الجانب.. حتى كان يفرش له بفناء الكعبة، فلاـ يقرب من فراشه أحد من أولاده، أو كبار قريش، يهابونه ويحترمونه.أما محمد فقد كان يأتى – وهو صبى – يتخطى رقاب الكل حتى يصل إلى يده، فيزاحمه على فراشه. ويحاول الأعمام أن يمنعوه، فيقول لهم عبد المطلب: (دعوا ابنى هذا، إن له شأناً عظيماً يغبطه عليه الناس).ولم يكن هذا فحسب من الجد نحو حفيده، بل أكثر من هذا، ولماذا لا يكون كذلك، وهو يتكهن لحفيده مستقبلاً خطيراً، وشروقاً لن يغرب؟..وما أن شعر السيد الكبير بدنوّ أجله حتى طلب ولده (عبد مناف، أبو طالب)، فخفَّ اليه مسرعاً، وعيون

الأولاد، والاسرة ترقب الأب العظيم، وهو على فراش الموت.. وبيد ملؤها المحبة والحنان، يأخذ يد محمد فيضعها بيد أبى طالب ثم يقول له، وهو يصارع الموت: (يا عبد مناف: خلفت فى يدك الشرف العظيم الذى تطاول به رقاب الناس).وتجفُّ الكلمة على ثغر زعيم الهاشميين، وابتسامة الرضا والاطمئنان تطفو مكانها لتزهر وتورق وسط جفاف الأيام.وبدأ محمد يكبر، وتكبر معه الآمال، وكلما تدرج فتى الدعوة فى العمر تضخمت مسؤولية العم الحنون فى الاهتمام بهوالحفاظ عليه.. حتى لم يكن له من قريب او بعيد بأكثر حناناً وأشد إشفاقاً عليه من أبى طالب.ولم يكن كل أولاد عبد المطلب مثل ما كان له أبو طالب حامياً، وناصراً، ومدافعاً، نعم كان حمزة أقرب الأعمام له بعد أخيه عبد مناف.وحمزة تربطه بابن أخيه أكثر من صلة، فقد كان أخاً له بالرضاعة، وكان له ترب الصبا، يكبره بأربع سنوات، وكان يتعهده فى كثير من الأحيان، وكانت هذه بمجموعها عاملاً يقرب بين القلبين، ويؤلف بين الروحين.لقد كان يضمر له من الحب والوفاء أجمله وأحسنه، ويقدر لأخيه أبى طالب موقفه الرائع من وديعة أبيه، بما كان يبذل له من العناية والاهتمام، حتى قال محمد (صلى الله عليه وآله): (كانت فاطمة بنت أسد – زوجة عمى – تجيع أولادها وتشبعنى، وتتركهم شعثاً وتدهننى، ولم يكن لدى عمى أبى طالب همّ إلا حمايتى، والاهتمام بأمرى).وامتدّ الزمن، وعلى امتداده توسعت شخصية (فتى عبد المطلب)، كلّ شيء فيه يدلُّ على أنه شخصية المستقبل ولم تغب عن ذهن حمزة كلمة أبيه – وهو على فراش الموت -: (إن له شأناً عظيماً يغبطه عليه الناس).وكان حمزة يسرّ ويفرح عندما يلمح ابن أخيه، ويكتم سروره ولا يتظاهر بفرحه، كان هذا الميل النفسى ينمو مع نمو محمد، ولا يستطيع تفسيره ولابد أن يعثر على تفسير ولو بعد حين. ذلك هو الإيمان الذى تولد فى أعماقه وازدهر بعد زمان.ومرت بالنبى أحداث كانت لها الأثر فى رفع الستارة عن شخصيته، وكان حمزة يتابع هذه القضايا بشيء من الإهتمام..ومن أبرزها حينما اختلفت قريش فيما بينها، على وضع الحجر الأسود فى مكانه بعد بنيان الكعبة، فكانت كل قبيلة تود أن تحظى بهذا الشرف الكبير، وكاد النزاع يؤدى إلى معركة واتفق الجميع على أن أول قادم عليهم سيكون هو الحكم فى ذلك، ولم تنطو لحظات حتى كان المقبل عليهم هو محمد بن عبد اللّه واستبشرت الوجوه به، فهو المعروف عندهم ب(الصادق الأمين) وبسط الرسول رداءه، ووضع فيه الحجر فى وسطه، وأمر كل زعيم قبيلة أن يحمل جانباً من الرداء، وإذا ما رفعوه، أخذه ووضعه فى مكانه.ولم يهن ذلك على طغاة قريش، فقال قائلهم: وا عجباً لقوم أهل شرف ورياسة، وشيوخ وكهول، عمدوا إلى أصغرهم سناً وأقلهم مالاً، فجعلوه عليهم رئيساً وحاكماً!! أما واللات والعزى ليفوقهم سبقاً، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم..وكان حمزة فى خضم هذه الأحداث ذلك الإنسان الذى يعيشها ويعيها ويحكم نفسه فيها تحكيماً منصفاً، فيزداد إيماناً وحباً وتفانياً لابن أخيه، ويقف إلى جانب أخيه أبى طالب كافله ومحاميه..ومرت الأيام، وأعلن محمد دعوته، ولم يستجب لها فى بادئ الأمر إلا خديجة وعلى بن أبى طالب، ثم استمرت الدعوة، رغم قلة الناصر، وجدّت قريش فى عرقلة حركتها، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب، يتحين الفرص، فإذا ما ظفر به وحيداً صب عليه جام غضبه، وسخر منه، وآذاه بأنواع الأذى.لكن ذلك كله لم يثنه عن رسالته، وإلى جانبه أبو طالب وحمزة يقفان له فى كل نازلة يصدّان عنه عدوان الناقمين، ويدفعان عنه ظلم الحاقدين..ومرة جاء محمد إلى عمه أبى طالب يشكو له أذى قريش فقد ألقوا عليه سلى ناقة فقال محمد لعمه: (عم كيف ترى حسبى فيكم)؟! فقال له: وما ذاك يا ابن أخى؟ فأخبره بالأمر فدعا أبو طالب حمزة، وقد توشح كل منهما بسيفه، وقال لحمزة: خذ السلى معك وتوجها إلى القوم، وهم فى فناء الكعبة، فلما شاهد القوم المقبلين توسموا فى وجوههم الشر وإذا ما وقفا على رؤوسهم قال أبو طالب لأخيه حمزة: مرّ السلى عليهم، ومن يعارض اقتله، فامتثل حمزة حتى أتى على آخرهم، فالتفت أبو طالب إلى ابن أخيه قائلاً:هذا حسبك فينا!.برغم هذا فلم تكف قريش عن أذى محمد كلما ساعدتها الفرصة وتقسو معه حيث أمكنتها القسوة.. وكان هو بنفسه لا يرد عليها أذاها، يحتمل منهم الألم، ويطويه بين أضلاعه، اللهم إلا أن يعلم أحد الثلاثة بما أصابه، فيكون الانتقام حامياً، وهم: أبو طالب، وحمزة، وعلى، فيردون الصاع صاعين على المعتدى.وذات يوم يمر النبى عند الصفاة، فإذا بأبى جهل هناك ونفسه الحاقدة تغلى فى صدره، فيلتفت يمنة ويسرة، فلا يرى من يخشى صولته وغضبه، ليس معه أبو طالب، ولا على مقربة منه حمزة، ولا إلى جنبه على، وحيد يلقاه، وهى فرصة سنحت له،

فليستغلها.وينهال الرجل المريض القلب على محمد دون خشية وخوف يشتمه فيجرحه بالكلام، ويسبُّه ببذىء القول، ويفرغ كل حقده الجاهلى، ويظهر كل كوامن حسده.. ورسول اللّه لم يفتح شفتيه ليردَّ عليه، إنه لعلى خلق عظيم، ويأنف أن يقابل هذا الأحمق الجاهل، وإن امتدَّ به العمر.وينصرف بعد ان يسمع منه ما لم يسمع، ويتألم ويحزن ويطوى فى نفسه أحزانه وآلامه.ويسرى الخبر إلى حلقات قريش يقطع أوصال مكة كالعاصفة، ويسبق وصول ابى جهل اليها، ويفرح من يفرح ويحزن من يحزن، ومن يرد عليه؟ والفاعل ابو جهل الشرس الفض، وكثير منهم يرغب بأذى محمد؟ ولا يرغب ان يباشره بنفسه خوفاً من نقمة ابى طالب وبطش آله.وأقبل ابو جهل على قومه يفخر بما عمله، ويزهو بما بدر منه فقد أرقه محمد، وسلب النوم من عينه، فما باله – وقد غنم به – ان لا يسكب كل ما فى نفسه من لؤم كلاماً لا هوادة فيه، إذا لم يتمكن من مهاجمته بالسيف.وكانت عادة حمزة ان لا يعود الى بيته من سفره إلا إذا طاف بالبيت سبعاً. ولا يدخل بيته إلا إذا مرَّ على أندية قريش ومجالسها، مسلماً، ومتحدثاً، ومداعباً، وكان مهاباً مرموقاً ولماذا لا يكون كذلك، وهو من أعز فتيان قريش، وأشرفها وأقواها شكيمة، يعدّ من أبطال الهاشميين، مزهواً بقوته معتداً ببطولته.وانه لفى ذلك اليوم وقد عاد من سفر له، متوشحاً قوسه كعادته توجه إلى الكعبة ليؤدى طوافه، ويقف على أندية قريش يشارك جلاسها أحاديثهم، فينتهى إلى حلقه امرأة، وهى مولاة لعبد اللّه بن جدعان، واستقبلته وقد بدا على وجهها ظل من الحزن، ثم لفت خمارها، وقالت له – ولعل دموعها سبقتها إلى الحديث –:يا أبا عمارة، لو رأيت ما لاقى ابن اخيك محمد قبل قليل من أبى جهل لجزعت، فقد ظفر به، ولم يكن معه أحد، فصب عليه وابلاً من السب الفظيع، والشتم القاسى، وبلغ منه ما يكره ولم يكلمه محمد بشىء..لم يكن هذا الخبر بأقل من وقع الصاعقة على بطل الهاشميين ومادت الأرض به.. شيء لا يطاق، وكبير جداً على بنى هاشم أن تنال مخزوم ما نالت.وغلى الغضب فى قلبه، ودارت الدنيا فى عينيه.. يا للعار.حفيد عبد المطلب وسيد قومه يصاب بمكروه، وعين لبنى هاشم تطرف، الموت خير من الحياة..ولمحت المرأة الغضب يجول على وجه حمزة، ويكاد يقطع أنفاسه، فأدار وجهه، ومضى نحو البيت، وهو يخسف الأرض بمشيته، وعيناه تلقف كل من يلقاه فى طريقه لعله المتطاول على كرامته فيهجم عليه.والمرأة خلفه تهرول، وفى قلبها أكثر من فرحة، فقد ضاقت ذرعاً من شر أبى جهل، إنه الرجل الشرس الفض، الذى يعتدى على الناس، ويرى انه المتفضل فى اعتدائه، ويشاكس الكثير من الضعفاء، ويصيبهم بسوء، ولا رادع يردعه، ولا راد يرده.وهى بهذا التفكير لمحت حمزة قد وصل إلى المسجد، وتخطى الجالسين واحداً بعد الآخر حتى وقف على رأس أبى جهل وانفجر بوجهه صارخاً، والغضب يتطاير من عينيه: أتشتم محمداً يا حقير، ورفع قوسه، وأنزله بعنف على رأسه فشجه، ووقع على الأرض، وكاد يثنى بها، لولا بعض الجالسين فقد حالوا دون ذلك، ثم قال له: أتشتمه يا أبا جهل؟ وتهينه، وأنا على دينه وأقول ما يقول، رد علىّ إن امكنك القول، وتكلم إن ملكت الكلام؟ولم يهن على بنى مخزوم ما أُصيب به زعيمهم، فتواثبوا من هنا وهناك ليأخذوا بثأرهم، ولم يتزحزح حمزة، ولم ترهبه جعجعة السيوف، وقف يتحداهم، وهو يرفع قوسه استعداداً لكل خطب، لم يهب شخصاً، ولم يطأطئ رأسه لأحد.ويخشى أبو جهل العاقبة إذا توسع الأمر، فيطلب منهم أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة، ويتركوا أبا عمارة، لأنه ألحَّ فى سب ابن اخيه سباً قبيحاً.ووصل الخبر إلى النبى (ص) وهو فى بيته، فتنكشف الغمة عنه، ويشكر لعمه حمزة موقفه.كانت هذه الحادثة سبباً لكشف إسلام بطل الهاشميين أسد اللّه، وأسد رسوله، وفى الوقت نفسه كانت بداية انطلاقة جديدة للدعوة، وقوة داعمة.. فأزداد اطمئنان أبى طالب، فقد كان يعمدإلى حماية ابن أخيه حماية مباشرة، ويخشى عليه حتى من ظله، لذا كانت فرحته كبيرة بإعلان حمزة إسلامه.. وهو، وولداه: على وجعفر، وحمزة قوة لا يستهان بها، ويعرف قوة أخيه وبطولته أكثر من غيره، وجرّب شجاعته وإقدامه أكثر من مرة..ولم يكن هيناً على قريش إسلام حمزة وإعلان إسلامه، فقد كانت تهابه وتخشاه، ولامت أبا جهل على تهوُّره الذى يسبب لها الأزمات، ويدفع بأصحاب محمد إلى الصلابة والصمود.وإذا كانت الهجرة إلى المدينة، وغادر الأصحاب متخفين متسللين، فقد شدَّ حمزة ركبه دون خشية، او خوف من طغاة مكة، وهاجر إلى المدينة المنورة ليكون إلى جنب نبيه.وأخلص حمزة لقضيته، ووفى لها، وعقد له النبى أول راية رفت فى الاسلام، فقد أرسله مع سرية له إلى سيف البحر ليقاتل المشركين، وقبل أن يلتحم القتال حلّت بالمعاهدة والاتفاق وكان النبى يحرص دوماً ان

يتجنب القتال.وراحت الأيام تحصد الشوامخ من المواقف المشرفة لبطل الهاشميين كلها تعبر عن شرف العقيدة، والإخلاص المتناهى.وحلَّ يوم بدر..وتوقف الشيخ ابو معاذ عن الكلام، ومسح بكمه قطرات من العرق انتثرت على جبينه، ثم غام فى هدوء عارض لم يطاول أكثر من لحظات بعدها عاود الحديث، وقد أشرق وجهه: كان يوم بدر عظيماً، فقد تجلت فيه البسالة الهاشمية والبطولة الرائعة، ابو عمارة يجول ويصول، لم يرجع سيفه خائباً يغمده فى صدر ذاك، ويجندل ذلك، ويصيح بأعلى صوته: أين ابن ابى طالب، أين ابن أخى؟ فيجيبه على من وسط المعركة: ملتقانا آخر الجيش، ويفريان الحشد المتراكم أمامهما، هذا من جانب، وذاك من جانب، وهما يكبران، حتى يلتقيا فى مؤخرته، وأسيافهما تقطر دماً.ويحث حمزة المسلمين على القتال، وهو يصيح: قال رسول اللّه: والذى نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله اللّه الجنة..ثم أردف الشيخ ابو معاذ، بعد صمت قليل استرد أنفاسه فى خلاله: وكنا قد اجتمعنا يوماً فى مسجد الرسول نستعرض بدراً وميدانها، فكان الأصحاب يتبارون فى ذكر من قتل بسيف حمزة، وعلى بن ابى طالب، وكيف جندلاً الأبطال، وهدّا العمالقة، حتى استغاثت قريشاً من بطولتى: أسد اللّه ورسوله وفتى ابى طالب، وما أوقعا فيها من خسائر فادحة.وبقى هذا الخزى يلاحق قريش وأعوانها، وكان طعم الهزيمة علقماً، وثقل الخسارة مجهداً يقض المشركين فى ليلهم ونهارهم. وصمموا على الثأر، تصميم الموتور، وإصرار المغبون وكان التجاوب فيما بينهم – وخاصة قريش – مساعداً لجمع فلولهم، وكيف لا تكون كذلك، وكل قبيلة أصابها ما أصابها من عار الخسارة الشنعاء عاراً لا يشابهه عار، وخسارة لا تضاهيها خسارة.. ولم يطفأ لهب قريش، ولم يكشف حزنها إلا قتل أحد الثلاثة: محمد، وحمزة، وعلى.ودارت رحى الحرب بين المسلمين والمشركين حامية فى (أُحد) تارة على المسلمين، وأُخرى على المشركين، كر وفر..وأبو سفيان يجول فى وسط أصحابه يذكرهم بعار (بدر) وقتلاهم، فيها ومجدهم المندثر، ويصرخ ملء شدقيه: لا بدَّ من جولة تطيح فيها الرؤوس، وتزهق بها الأرواح، وتعتلى السيوف القمم، عند ذاك أما: الثأر أو الموت..وكل موتور يتصيد واتره، لعله يخفف من حزنه بما أُصيب.وكان جبير بن مطعم موتوراً من حمزة بقتله عمه طعيم بن عدى يوم بدر، وكانت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان موتورة من حمزة بقتله عمها يوم بدر، وهناك البيوتات الكثيرة من قريش وغير قريش موتورة من على، وحمزة.ويوم عزمت قريش على الخروج لقتال المسلمين عاهد جبير بن مطعم عبده وحشى – وكان عبداً قوياً – إذا قتل حمزة فقد عتقه..ومالت اليه هند بنت عتبة تمنيه وترغبه على ذلك، وهى لا تقل عن صاحبها جبير حقداً وغيظاً، كما لا تتضاءل عنه سخاءً وكرماً، تقول له: نفذ ما قاله لك سيدك، ولك منى ما تريد وكررتها ثلاثاً.قال العبد: سأبذل قصارى جهدى، فإن مت خلصت من حياة الرق، وإن فزت تحررت، وفى كلا الأمرين لى خلاص..ودقت طبول الحرب، المشركون بعدتهم وأبطالهم، والمسلمون بعددهم القليل، وعدتهم الضئيلة.وعين وحشى ترقب حركات البطل وتنقله بين الصفوف وهو مثل الجمل الأورق [۱]، يحصد المحاربين بسيفه، ويتمايل الأبطال عن طريقه، تخشى بطشه، وتخاف بأسه، فلم يخرج اليه مبارز إلا ولاقى مصرعه، ولم يتصدَّ له أحد إلا وعاد مهزوماً أسد اللّه، وأسد رسوله.. كرّار غير فرّار.يقول وحشى: كنت أتهيأ له، اريده، وأستتر منه بشجرة او حجر ليدنو منى، وأنتظر اللحظة التى أرميه فيها بحربتى.والفارس المغوار فى غفلة عن عدوه، لا يلتفت، ولا يعرف من أمره شيئاً، حتى إذا ما قرب منه، اندفع اليه، ورماه بحربته، فأصابت منه مقتلاً، ووقع صريعاً.. ولما تأكد من موته ذهب اليه، وأخرج حربته، وجرى مسرعاً لجبير يبشره ليملك حريته، ويخبر هنداً فيتمنى عليها ما يريد.وسرى الخبر يمض فى قلوب المسلمين، ويبعث السرور فى نفوس المشركين، هذا حمزة بطل الاسلام، وأسد اللّه، وساعد محمد، مجندَل فى الميدان، يا لفرحة الشامتين..وخفت أوار الحرب، وطافت نساء مكة بين القتلى تسبقهن هند، وهن يرقصن فرحاً، ويجدعن أُنوف قتلى المسلمين، ويبقرن بطونهم، ويقطعن آذانهم.ولم يشفِ غليل هند كل هذا، أين حمزة؟ فقد أخبرها وحشى بأمره، وإنها لتخوض فى الدماء والجثث إذ تعثر بحمزة وهو يتوسد التراب.أصحيح أن بطل الهاشميين صريع فى الميدان؟ إنه بغيتها وتجلس على صدره – وفرحتها تكاد تقضى عليها – بماذا تبدأ وكيف تعمل؟ تقطع أوصاله، لا لا يهدأ خاطرها، تسمل عينيه، لا يطفى لهب حقدها، تقطع لسانه، لم يجدها.. أكثر من هذا تريد.. لتستخرج كبده فتأكله. وفعلت، ولكن لم تتمكن من أكله، لفظته مقهورة، جازعة، ثم لتعمل قلادة من أجزائه: أنفه،

اذنيه، لسانه، عينيه، ثم بقرت بطنه، وقطعت أوصاله.. ولم يبقَ لـديها ما تفعله، فتركته وهى تتهادى نشوانـة بفعلتها حتى قال المشاهدون عنه: ما مُثل بأحـد كما مثل بحمزة..وانسابت دموع الشيخ أبى معاذ، فأمسك عن الكلام قليلًا كى يمسح ما علق فى أجفانه من حبات الوفاء، فقـد تذكر الشيخ المنظر المروع، فهاجت أحزانه، وضايقته عبرته، ثم عاد بعد هنيهة يواصل حديثه: واستقبل أبو سفيان زوجته وهى ترقص، وفى صدرها قلادة من أعضاء إنسان، والتفت الرجل لزوجته متسائلاًـ فأخبرته فضحك ضحكة طويلة، وصاح: أين تركتيه؟ قالت: على مقربة من العين.وانطلق يعدو، ولا يدرى كيف يطوى طريقه، حتى وقف عليه وشاهده مقطعاً، ولم يكتف بذلك بل أخذ يمزق شدقى الصريع برمحه وهو يضحك، فمر عليه أحد الاعراب، ورآه فى موقفه المخزى، فقال لصاحبه، أنظر يا أبا عروة سيد بنى عبد شمس يصنع بإبن عمه ما ترى، إنه يجهز على ميت.فالتفت اليه أبو سفيان قائلًا: ويحك اكتمها عنى، ولا تفضحنى عند العرب.كان منظر حمزة، وهو مقطع الأوصال، أوجع منظر أثر فى قلب النبى، ثم سجاه بغطاء، وقسم من حشيش الأرض.ومع كل ما أصابه من حزن فى هذا الموقف الدقيق، فقد أبّن بطل الاسلام بقوله- وهو يصارع احزانه-:)رحمك اللّه يا عم، فلقد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، فو اللّه لئن ظفرت بهم لأمثلن بسبعين منهم(.إنها الحميّةِ والثأر دفعت بالرسول الأعظم ان يتعهد بهذا الثأر لعمه المؤمن الشهيد، بعد ان هزَّه الموقف هزاً.. لكن اللّه سبحانه أراد غير ذلك، فقد نزلت الآية الكريمة:)وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر وما صبرك إلاـ باللّه..(.وهكذا انتهت حياة بطل الاسلام حمزة بن عبد المطلب صفحة مشرقة تنير للأجيال دروب العقيدة والكفاح، والصمود والبطولة...

ياسر بن عامر

واجتمع القوم إلى محدثهم فى ليلتهم، ولم يكن شوقهم إلى أحاديث الشيخ أبى معاذ بأقل مما مضى، إنما كان يزداد ارتباطهم بمحدثهم على مرور الليالى.واستعد للحديث، وهدأت الأنفاس، وارهفت الآذان وانشدت العيون اليه، وقال: رحم اللّه آل ياسر، فقد كان لهم شأن كبير فى الإسلام..قال صديق العمر لياسر: هل لك - يا أبا عامر - أن تعدل عن رأيك؟.قال ياسر: لا.. لا فائدة لى فى البقاء هنا، فلا بد من الرحيل إلى الحجاز، علنى أتمكن هناك من العيش فى رخاء.ماذا دهاك! أتراك نسيت أن البلد الذى عركت خيره وشره وعرفت سراءه وضراءه، خير لك من بلد لم تعرف عنه شيئاً!!ثم ان مكة اليوم ليس من السهل أن ترى فيها الظل الوارف والعيش الرغيد.ومع ذلك - يا زفر - فإن البعد عن اليمن هو وحده كافٍ لاستقرار البال.وإلى هنا انقطع الحديث بين الصديقين، وابتعد كل عن الآخر وفى نفس (زفر) شىء كثير من عدم القناعة والرضا على سفر صديقه ياسر بن عامر، ترب الصبا، وحبيب الشباب، وكلما حاول أن يثنيه عن تحقيق فكرة الرحيل لم يتمكن، فإن ياسراً قد سأم العيش فى اليمن، وضاق ذرعاً بها، فقرر الرحيل مهما كلفه الأمر.وقبل أن تسرج الشمس أضواءها شد ياسر على راحلته ووطدها لسفر طويل وتهيأ للسير، ولم يكن فى وداعه إلا خله الحميم زفر، وجار له كان يرفق به.وجدَّ السير يطوى الفيافى والقفار، حتى لاـح له مشارف مكة من بُعد، فطابت نفسه، وقرَّت عينه لتحقيق رغبته.واستراح عند تلعة من تلاع الصحراء المنتشرة قرب مكة وهومت عيناه، وطافت به سنة عابرة، أيقظته حركة قافلة صغيرة مارة، وما ان فتح عينيه، ولمح أمرها قام واستعد مقتفياً أثرها ليتمكن بواسطتها من معرفة الطريق الذى يوصله إلى البيت الحرام، فهو غريب لم يلج هذه الأرض من قبل.ووصل إلى البيت الحرام، واتخذ من فنائه ملجأ يقيه ظهيرة الحجاز المرهقة، وقبل أن تلملم الشمس أطرافها، بدأ القوم يتوافدون - كعادتهم - إلى الكعبة، ففى أرجاء هذا المكان تنتشر مجالس السمر، وتعقد حلقات الأدب.وأخذ الطارق الغريب يتفرَّس فى وجوه الجالسين، فلم يجلب انتباهه أحد إلاـ أبو حذيفة بن المغيرة، فهو رجل بدت عليه مظاهر الكياسة والخلق والطيبة.ولمح أبو حذيفة تطلع الغريب اليه، فقام مرحباً به، وهو يسأله: أغريب أنت يا أخا العرب؟- نعم وحق هذا البيت.- إذاً فأنت ضيفى.- شكراً لك يا سيدى..وهكذا ابتدأت صلة ياسر بأبى حذيفة، ويأخذ مكانه فى تلك الحلقة، حتى إذا حان وقت الإنصراف صحبه مضيفه إلى داره ليحل فيها ضيفاً مكرماً عزيزاً.وعلى مر الأيام تتوطد صلة ياسر بصاحبه، حتى بات لا يفارقه كالظل، فقد لمس

أبو حذیفة فی صدیقه وفاء لا مثیل له، وصدقاً متناهیاً، واندفاعاً قویاً للعمل والإخلاص له.واشتدت أواصر الصداقة والمحبة بینهما.. فیخلص کل منهما للآخر إخلاصاً عجیباً، بحیث بات أبو حذیفة یفکر فی أمر یاسر ویهتم لزواجه.فیزوجه أمته (سمیة بنت خباط)، ویعمل جاداً فی مساعدته لتکوین دار له، بعد أن أصبح رب بیت له زوجة، وولدین ویبقی حلیفاً لأبی حذیفة ووفیاً له، فهو صاحب فضل علیه..وتدور فی أندیة مکة أحادیث تکاد تلتهمه عائلة آل یاسر بإیمان وعمق.. حدیث دعوة محمد (صلی الله علیه وآله) إلی الإسلام.وراحت قریش تبذل الغالی والنفیس فی إخماد هذه الدعوة التی تهدد مصالحها، وتقبر آمالها وأطماعها، وتضع کل ما فی وسعها من عرقلة لإبعاد الناس عنها..وتسرب النبأ همساً، لکنه کوقع الصاعقة علی طغاة مکة یا لهول ما یسمعون، إنه شیء کبیر جداً، وغریب جداً، ومستحیل جداً.. حتی هذه الأسرة الضعیفة صبت لهذا الدین الجدید.ثم یقول قائلهم: لنتأکد من هذا الأمر، وإذا صح فلنحسب له حساباً.. إن هؤلاء المستضعفین من هذه الدیار هم یشکلونالخطر الأکبر علی دیننا، وآلهتنا، وان محمداً یسحرهم بأقواله إذ یدس لهم بأنه (لا ـ فرق لأبیض علی أسود إلا ـ بالتقوی) وهذا موضع الخطر.وینتفض الحانق الغاضب کأنه أصابه مَسّ من جنون: أنا لکم، سوف أکتشف أمر هؤلاء.نعم ما تصنع یا ابا جهل، ولا تکن متهوراً فی بادئ الأمر.ویرسل ابو جهل عیناً خفیة إلی دار الأرقم – مرکز التجمع المحمدی – لیرصد أحداً من آل یاسر هل تضمه تلک الدار کما تضم العدید من أولاد الأسر وغیرهم.وإذا کان الحانقون علی هذه الدعوة لم یتمکنوا من معاقبة أولاد الأسر والذوات والمتنفذین، فلیلقنوا هذه الأسر الضعیفة درساً قاسیاً، لیکونوا عبرة لمن اعتبر.ویعود الرقیب إلی حلقة ابی جهل، وهو یهتز ویرعد، لقد هاله ما رأی.. وبین الغضب والحنق یقول: لا واللات والعزی لا یکون هذا، کفی سخریة وهزءاً.. عائلة دخیلة علی مکة أحسنت وفادتها بنو مخزوم، وعاشت علی فتات موائدها، تخرج علینا، فتقابل بالإساءة.. یا ویل لهم من غضبنا!.وغامت الدنیا فی عین ابی جهل، وهو یسمع حدیث صاحبه ویضرب کفاً بکف، ویصک علی أسنانه حقداً وغیظاً، ویصرخکالوحوش: هذا ما کسبناه من ابی حذیفة.. لا کان ذلک ابداً.. سوف أقتلهم جمیعاً، وأطفئ بهم غضبنا.ویخطو عمرو بن هشام خطوات، حتی صادف ابا حذیفة مقبلاً علیه، ولم یکن برکان حقده قد خمد بعد، وقبل ان یبادره بالکلام، صرخ فی وجهه ابو جهل: – یا ابا حذیفة، لا نحتمل منک هذه الإهانة، رد صاحبک الیمانی عن کیده، وإلا رددناه بسیوفنا، وأنت تعلم انها مسلولة فی وجه أعدائنا.وغارت عینا ابی حذیفة من الغضب، ولم یتحمل من هذا الطائش ثورته، فامتشق حسامه، وکاد یهجم علیه، وهو یقول له: أتهددنی بالقتل؟ سوف لن یکون جوابی لک إلا السیف إن عدت لمثلها.وانسحب ابو جهل وهو یتلعثم فی المشی، وتأزم الجو بسبب هذه الحادثة، مما اضطر المشرکین ان یعقدوا اجتماعاً عاجلاً یضم رجالات قریش، وزعماء القبائل المناوئة للدعوة الجدیدة وقرروا: ان کل من تصبو نفسه لدعوة محمد ویساعدها وینخرط فیها، یستحق التعذیب والتأدیب، وإذا تمادی فجزاؤه القتل ودمه هدر بین القبائل.وما کاد الاجتماع ینتهی حتی نهض ابو جهل الی مضارب آل یاسر، یسومها الأذی والعذاب.. ولم ینتهِ عمر تلک اللیلة حتی کانت هذه الأسرة کلها فی قبضة الجلاوزة الغلاظ من قریش وممن أعمت بصائرهم الدعوة الاسلامیة، کمداً وحنقاً.وسری الخبر فی الحلقات ان ابا جهل ألقی القبض علی هذه الأسرة، وتقاطرت الناس علی حی بنی مخزوم لیشهدوا حساب یاسر وأهل بیته.وخیّمت فترة صمت مزقتها أصوات مقبلة، فاتجهت الأنظار الیها. کان بعض أفرادها مقیَّدین بالحدید، تنهال علیهم السیاط وسط مجموعة من الأشداء یتقدمهم رجل بنی مخزوم: ابو جهل.وکان من بینهم رجل قد تخطی عتبة الکهولة، هدمته الأیام وخلفه امرأة لا ـ تختلف عنه بالسن کثیراً، وإن کان الضعف والهزال قد ألَمَّ بها أکثر من زوجها، وفتی یافع فی ریعان الفتوة ونضارة الشباب یسیر من ورائهما.أقبلت هذه الأسرة وقد بان علیها الجهد، الحدید أثقلها والعذاب أتعبها، خلفها عدد من الجلاوزة، بأیدیهم الحراب والسیاط، یطعبون بها أسراهم کلما تراخوا فی السیر، والعصی تلقف أجسادهم، کلما لذ لهم أن یتضوروا، والحجارة تنهال علیهم من الأطفال والنساء کلما أقبلوا علی جماعة.وتقف الأسرة الصامدة أمام حشد من طواغیت قریش وهالهم ان کل هذا العذاب والتعذیب لم یؤثر فی معنویاتهم.وکان أبو سفیان من تلک الشلة التی قدمت لتشهد تعذیب هذه الأسرة، وقد امتقع لونه، وجثمت علی وجهه عتمة شوهت سحنته، وهو یطحن بأضراسه الکلمات التی یتفوه بها.ایه یا حلیف مخزوم، هل صبوت إلی سحر محمد؟وبقلب ثابت لم

يزعزعه العذاب، ولم يهدّه التنكيل يتهادى الرد عليه من هذا الرجل المثقل بالحديد، كأنه السهم يقطع أوصاله دون ما رحمة.- لا تقل يا أبا سفيان – سحر محمد – بل نوّر اللّه قلبى بدين محمد، وهدانى بهديه إلى صراطه القويم.وضج القوم، وطارت عيونهم من الهلع، وانفتحت أفواههم تعجباً، وخفقت قلوبهم رعباً، ماذا يقول هذا الرجل الدخيل على ديارهم. إن جوابه لا يطاق، ويهتز أبو جهل، ويرتعد بحيث لا يسيطر على السوط الذى بيده من شدة الغضب، ويحاول أن يهجم عليه فيقطعه بأسنانه، فيمسكه أُمية بن خلف، ولم يكن هو بأقل من أبى جهل غضباً وحنقاً، ولكنه يتظاهر بالهدوء والسكينة ويخاطب ياسراً: اما كفاك أن تصبو أنت لسحر محمد، حتى أخذت معك هذه المرأة وهذا الفتى تقربهم من نبيك، وتعلمهم على دينه وتنفث فيهم من سحره وتتجاهرون بالخروج على آلهتنا..وكأن الأسرة كانت على موعد لجواب موحد، فقد ردوا عليه مرة واحدة غير هيابة للنتائج والعواقب المترتبة عليه: صه يا حقير، لا تتهم رسول اللّه بالشعوذة والسحر، انه لم ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه ربه شديد القوى، ولقد هدى قلوبنا بكتابه، وأنقذنا من عمى الجهالة بنور دينه..وعلا الضجيج من جديد، وجن جنون الطغمة الفاسدة وانهالت السياط والحراب على أجسادهم دون شفقة.وبكل إيمان يلتفت ياسر إلى أهل بيته يصبرهم، ويشد من معنوياتهم، قوّى الإيمان عزيمتهم، وشدَّت العقيدة أطرافهم. وتتلاقى العيون بعضها ببعض، فتبتسم الشفاه ابتسامة الرضا والقبول، كل ذلك فى سبيل اللّه، وكل ما كان فى سبيله فهو بسيط ومقبول، وهذا ما بشرهم به نبيهم محمد.وكلما تجسدت الصلابة فى هذه الاسرة، ازداد ابو جهل وجلاوزته حدة فى عذابهم، وعنفاً وقسوة فى معاملتهم.ويقول لقومه – فى مجلس سمرهم -: شد ما يعذبنى من ياسر وأهل بيته صمودهم وصبرهم، نذيقهم انواع العذاب فلا يتضورون ونصبُّ عليهم غضبنا فلا يبكون.. لقد تاقت نفسى ان أسمع بكاءهم، أو اشاهد تضورهم، فأشفى بذلك غليلى.ثم يلتفت زعيم بنى مخزوم إلى احد أعوانه يأمره ان يأتى بالأسرى لتنعم عيونهم ساعة بتعذيبهم.ولم يمر وقت حتى كانت الاسرة أمامهم، فطرحوهم فى الرمضاء اشبه بالعراة، وبدأت مكاوى النار تصهر أجسادهم وتخمش جروحهم، والسياط تتلوّى على أجسادهم المنهوكة فتحيلها إلى خطوط زرقاء، وتنهال الحراب بكل قسوتها تمزق ظهورهم، ولم تنبس شفاههم بكلمة، وعيونهم نحو السماء شاخصة.ورغم كل هذه الأنواع التى يلقاها آل ياسر من هذه الطغمة كانت فى الوقت نفسه تتعلق فيهم روح الإيمان، وتضرى فى أعماقهم الصلابة والصمود، بحيث تصبح صلدة تمزق ظلم المشركين وتتحدى طغيانهم.ويقف الرسول الأعظم على حال هذه الاسرة، ويحز فى نفسه ما يعانيه ياسر وأهل بيته من طغمة الأشرار، ويرفع طرفه إلى السماء ويدعو اللّه من أعماقه: (اللهم اشدد على آل ياسر بالصبر. إن موعدكم الجنة)... فتشرق الوجوه المعذبة، وتهلهل العيون المرهقة، إن لدعاء الرسول أثره العظيم فى تقوية معنويات هؤلاء الأسرى.. فلقد خفف عنهم هول العذاب، وأزاح عنهم كابوس الألم والوحشة.وماتت سمية من التعذيب أمام ياسر وعمار، وهى تلهج بذكر اللّه، ولم يزعزع هذا المنظر موقف الأسيرين.. بالعكس، إنما ازدادا إيماناً وصلابة.وفى ليلة ثقيلة الظل هومت عين ياسر، ثم انتفض، وهو يبتسم، ويزحف لولده المتظاهر بالنوم.ويلتفت اليه عمار، فيهمس بصوت أتعبه الألم: ماذا بك يا أبتاه؟ ويطبع على شفتيه الذابلتين بسمة مضيئة، كأنها فرحة العطر، وصحوة الورد.وبين الفرحة والثناء تنساب الكلمات من فم الأب المضرج بالدماء: يا عمار، رأيت حلماً ما أجمله. كأن هذه الصحراء روضة غنّاء، فى وسطها امك تلف خمارها على رأسها تبتسم لى وتقول: إننا بانتظارك يا أبا عمار!!وقطع عليهما الحديث شبح يقترب منهما.. مَن هذا القادم فى سكون هذا الليل؟ ولم يتمكنا ان يميزا الصورة لتجمد الدم على عيونهما.ودوت ضحكة مزقت سكون المساء، عرفا منها صوت ابى جهل الوحش، فتعوّذا باللّه من شره.ووصل اليهما، وهو يتخابث، ويراوغ: لعلّى روعتكما وأقلقت عليكما نومكما، أحسب انكما كنتما فى نجوة.- لا يا ابا جهل، لم تذقْ عيوننا طعم النوم.- لقد علمت بأنكما عدتما إلى رشدكما، ونبذتما سحر محمد ودينه.وتلوّى ياسر، وكأنه أُصيب بعمود على رأسه، وصرخ – وإن كانت صرخته لم تبلغ مسامع الظالم إلا بمشقة -: – يا ابا عكرمة، والذى نفسى بيده لن اترك دين محمد مهما أوغلتم بتعذيبى وقاسيت منكم ما قاسيت، وسوف أحاسبكم بين يدى جبار السماوات والأرضين، وأقتص منك – يا لكع الرجال يا وغد، يا جبان – ساعة الحساب.وهاج ابو جهل، وهو يسمع من هذا الأسير ما لا يرضاه وجنَّ جنونه، فهجم عليه، لا يدرى كيف يهدم سكون الليل على هذا الرجل المتطاول

العنيـد. ولم تشرق شـمس ذلـك اليوم حتى كلَّت يـد السـفاك الأثيم مما أنزله من عقاب على هـذين الجسـدين. وعاد إلى بيته، وهو يعض على شـفتيه تأثراً.. لقد كلّت يداه ولم يشبع نفسه من تعذيب ياسر وولده. له كرّة اخرى، فى ظهيرة اليوم.ولم يكد يفرغ ابو جهل من عملية التعذيب، حتى يشعر ياسر بأن شيئاً غير طبيعى يجثم على صدره، ويأخذ عليه مسارب أنفاسه، فيجهد نفسه للتحدث مع ولده، فتخرج الكلمـات مجهدةمقطعـة، وتغور عيناه، وتـذبل شـفتاه، ويجف ريقه. إنها حتماً ساعـة الخلاص.فى نفس ياسـر ان يوصـى ولـده عماراً. ويزحف، ولكن المحاولـة تفشل فقـد ثقل جسـمه، ولم يعد يمكنه الحراك.وعمار ليس ببعيد عن حال أبيه، إنه يرقب كل هذه الطوارئ عليه، ويزحف اليه، وصـدى الحديـد فى جسم الابن يناغى حشـرجات الأب المسجى، وفى عينيه دمعتان تجولان: دمعة فرح، ودمعـة حزن.فراق أبيه عزيز عليه، لم يمض على فراق أمه إلا أيام معدودة وهذا الموكب الثانى يلحق به، ما أقسـى القدر.والشـهادة فى سبيـل الحق فخر كبير، أُمه أول شـهيدة فى الإسـلام، وأبوه ثـانى شـهيد من الرجـال.وبين حشـرجات الموت، وومضات السـعادة تنبعث الكلمات من الفم الطاهر: عمار: لا تمل عن دين محمـد، واقرأ رسول اللّه عنى السـلام وليـدعُ لى، ولأمك بالرحمـة..وينطفئ السـراج، وتنتهى المناجاة بين الأب والإبن، ويشاهد الجلاد هذا المنظر فيطير منتشياً فرحاً، ويهرول لأصحابه، وهم فى حلقة السـمر يخبرهم عن نهاية ياسـر.وتعلو القوم سحابة دكناء، وينتفض أبو حذيفة وقد هزَّه المصاب، ويصيح فى وجه الطاغى: حسبك يا أبا عكرمة من القتل، كفاك ما أصاب سـمية وياسراً، وإياك أن تعمل بعمار ما عملت، عذاب دون الموت.وفى دار الأرقم ينتشر النبأ، ورسول اللّه قد ألَمَّ به التأثر وهو يردد: (صبراً يا آل ياسر، إن موعدكم الجنة، اللهم احفظ عماراً من شر الطغمة الحاقدة، وأخذ بثأره).

سلمان الفَارسى

وأقبل الشيخ أبو معاذ فى ليلته مشرق الوجه، واستقبل مستمعيه برحابة وتكريم وانعقد المجلس، وكل من الحاضرين فى شوق لحديثه.. وقال:إن سلمان الفارسى - يا قوم - ما سجد لمطلع الشمس - كما يفعل المجوس وإنما كان يسجد للّه عز وجل، وكان أبواه يظنان أنه يسجد كهيئتهم.. وممن ضـرب فى الأرض يطلب الحجة، فلم يزل يتنقل من بلد إلى آخر، ومن كنيسة إلى مثلها، ويبحث عن الأسرار، ويسـتطلع الأخبار، ينتظر أن يحظى بالنبى الـذى أخبر عنه فهو ضالته، وأخيراً عثر على ما يريد، وأتم حياته كأحسن مسـلم تفهماً للدين، وتفانياً فى سبيله.لقد كان سـلمان فى السابق من أهل أصـبهان، وأبوه دهقان قريته، يحبه بشكل يعجز عنه الوصف، ومن جراء هذا كان يخشـى عليه، فيحبسه فى بيته تماماً، كمـا يفعـل بـالجوارى.. وكان أهله مجوساً يعبـدون الشـمس، ويوقـدون لها النار، وصادف أن مر سلمان على كنيسة فدخل بها، ولمح أهلها يصلون، ويتضـرعون إلى اللّه، فأعجب بهذا اللون من العبارة، وفضلها على طريقة أهله، لأنه فى أعماقه لم يؤمن بالصـلاة للشمس..وكانت هذه الانطلاقة منه - فى التحقيق عن الدين - قد جرّته لأن يجول فى البلدان، يطلب دين اللّه، فقيل له بالشام فقصدها، وعاش فى كنيسـتها برهة من الزمن ثم انتقل إلى الموصل يخدم ويتعبد فى كنيسـتها، ومنها إلى نصـيبين، وأخيراً قيل له: إن فى كنيسـة عموريـة من بلاد الروم رجلاً صالحاً يدله على الحقيقة فشدّ اليه الرحال وبقى ملازماً لكاهنها مدة طويلة، يتلمس فيه الإيمـان، والطيب، والوفـاء ولمـا دنت من الرجـل الوفـاة - وكـان يحفظ لسـلمان اخلاصه - دنا منه، وطلب أن يرشـده على الحقيقة وإلى أين ينتقل من بعده؟ - وبين لحظات الموت والحياة - قال الكاهن: أى بنى، واللهِ ما أعلم أنه بقى أحد يستحق أن آمرك بالذهاب له، ولكن سيبعث نبى فى هذا الزمان، يأتى بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين [۲] بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة.. فإن اسـتطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.. وانقطع نفس الكاهن، وذبل النور فى عينيه.وهز الحـديث سـلماناً، وأخـذ منه مآخـذاً، وبقى ينتظر اللحظـة التى تساعده على السـفر إلى تلك الـديار ساعـة بعد ساعة، يتحين الفرصة، ويتطلب القافلة.وانتشـر الخبر فى عمورية أن قافلة من العرب تعمل بالتجارة وصلـت البلد وهرع اليها سـلمان يتعرف على حالها.. إنها من قبيلة (كلب) احدى قبائل العرب ومرت أيام ولملمت القافلة أمرها وأعلنت عن سـفرها، فاتفق معها على أن يعطيها كل ما يملك من بقرات، وأغنام، مقابل وصوله إلى (مكـة). وتم الاتفاق وسافرت القافلة تطوى القفار، ولم

تبلغ أطراف مكة، حتى عمد أصحاب القافلة عليه، وأسروه، وباعوه الى يهودى، فأخذه الى قريته يخدمه..ومرَّ على سلمان عهد فى خدمة هذا اليهودى، ولكنه لم يقطع الأمل فى نفسه، فقد رأى القرية يكثر فيها النخل، فرجا أن تكون هو المكان الذى يطلبه من وصف الكاهن وبينما هو عند صاحبه إذ أقبل ابن عم له من بنى قريظة يسكن المدينة فأعجب به فابتاعه واحتمله اليها.. وسرَّ سلمان بهذا العمل، وكتم فى نفسه فرحة عظيمة، عندما عرف المدينة، وانها التى وصفها له صاحبه، والمكان الذى سيلتقى فيه بالنبى.وكانت الأيام تدور فى مسيرتها، لكنها ثقيلة الظل على هذا المتلهف لمعرفة الحقيقة.. وفى صباح ترهق الشمس ساعاته، أخذ سلمان عدته، وذهب لإصلاح بعض النخيل، وجاء صاحبه واستقر تحتها، وهو يرقب عمله، وأقبل عليه أحد أقربائه وجلس الى جنبه، وأخذ يحدثه، وهو لا- يعلم ان هذا الحديث يهم سلمان قبل كل أحد، قال اليهودى لقريبه: قاتل اللّه «بنى قيلة»، إنهم الآن مجتمعون بقباء [۳] على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون انه نبى..وتهادى النبأ الى أسماع سلمان، فتأخذه الرعدة، ويكاد يسقط من أعلى النخلة، ويشدّ على نفسه من الانزلاق، وينزل وهو مضطرب، ويهرع الرجل فيلح عليه بالأسئلة، يستطلع منه جلية الخبر، فيغضب صاحبه منه، ويلكمه لكمة قوية يكاد يسقط من شدتها، فيتمالك، ويصمت، ويبقى واقفاً أمامه فيصرخ فى وجهه مالكه: إذهب الى عملك، ما لك والدخول فى مثل هذا الحديث.ويطوى سلمان أسئلته وشوقه، ويتجه لعمله، فيتشاغل به ريثما ينفذ أمراً كان قد قرره لحظة تصميمه على إجلاء الحقيقة.وأقبل المساء، وانتشر الظلام فى المدينة، وحمل سلمان أكلاً معه، وتسلل الى رسول اللّه فى قباء.. ودخل عليه، وتطلع فيه ثم قال له: بلغنى انك رجل صالح، ومعك أصحاب غرباء وهذه صدقة عندى، أنتم أحق بها من غيركم، ويقدمها للرسول فيقبلها منه ويدعو أصحابه لأكلها، ويمتنع هو عن الأكل.ويقول سلمان فى نفسه، ان هذه إحدى العلامات،فقد أخبره صاحبه الكاهن انه لا يأكل الصدقة.. وينصرف ويعود بعد ليال، ومعه حاجات اخرى، ويدخل على النبى، ويقول له: هذه هدية أرجو قبولها، فيأخذها، ويشكره على ذلك.. وتطفو على سلمان إشراقة الفرحة، انها العلامة الثانية، لا يقبل الصدقة، ويأخذ الهدية.ولم يدر سلمان كيف تنقضى الأيام انه يحسبها دقائق وثوانى لكى تسنح له الفرصة، وتشاء الصدف ان تواتيه، فيتبع النبى ببقيع الغرقد – وهى مقبرة المدينة – ويدخل عليه، ولم يستقر به المكان حتى يستدير بنظره الى خلف الرسول، فيلتفت ماذا يريد، ويلقى الرداء عن متنه، ويظهر خاتم النبوة. فشهق سلمان، وسقط على كفى النبى يقبلهما، ويبكى فرحاً، وقص عليه قصته..وبقى ملازماً له، يتفانى فى إخلاصه، وإن كان لم يخرج معه لمعركة بدر واحد، لأنه رقّ، ثم لم يمكث ان قال له الرسول كاتب صاحبك، واتفق معه على تحريره من العبودية، وطلب منه صاحبه أن يغرس له ثلاثمائة نخلة، وهذا المطلب كبيراً بالنسبة لسلمان الذى لا يملك قيمة هذا النخل ليؤديها له، وعرف الرسول ذلك، فالتفت الى أصحابه طالباً منهم أن يعينوا أخاهم سلمان على فكاك رقبته، فجمع له المقدار المطلوب، وشريت النخيل وغرست، وأصبح حراً بعدها.ولازم سلمان النبى فى المدينة، وآخى بينه وبين أبى الدرداء وكان بعد ذلك إذا نزل الشام حلّ عند أبى الدرداء.وأطلّت السنة الخامسة، وقد مرَّ على «أُحد» سنتان واقتضت مصلحة الرسول أن يُجلى بنى النضير الى خيبر لنقضهم العهد. ولم يهن ذلك عليهم، وبيَّتوا على النبى أمراً خطيراً فقد عمدوا الى القبائل من قريش وغيرها يحرضونها على قتال محمد.. وصادف ذلك قبولاً فى نفوس قريش وغيرها.. فلم تكن ثارات بدر قد أخمدتها أُحد، ولم تكن أُحد نصراً ضد النبى لتخمد أحقاد الجاهلية.وإذا كانت المعركتان «بدر وأُحد» قد أدارتها قريش ومن تبعها من أعوانها، فان فى هذه المرة قد شدَّت سواعدها اليهود، وصارت تثير اللهب وتجمع الناس، ولم يمر زمان حتى صار عدد الجيش المحارب يقدر بعشرة آلاف يقودهم (ابو سفيان).ولم تكن قريش، وغطفان، وجيوش اليهود، إلا- حركة موحدة تجمعت من هنا وهناك لترفع راية القتال على رسول اللّه وتهدم الدعوة الجديدة فى مهدها وقد وصلت أخبارها الى مسامع المسلمين، فدبَّ فيهم الذعر والرهبة، وخاصة فى النفوس الضعيفة، مما اضطر النبى أن يجمع أهل الرأى من أصحابه ليتشاور معهم فى الرأى.كان سلمان أحد اولئك الأشخاص الذين جمعهم الرسول للمشورة والرأى، وطال الحديث فى ذلك، وسلمان ساكت لم يتكلم، فيلتفت اليه النبى قائلًا: – ولماذا لم تتكلم يا سلمان؟– يا رسول اللّه: أفكر فى أمر يمنع الأعداء من الوصول الينا.– وكيف ذلك؟.– يا رسول اللّه: نحفر خندقاً حول المدينة، فلا يستطيع العدو الوصول اليها.– وكم تقدر

المدة التى تستغرق لحفر هذا الخندق؟- لا يزيد على الأسبوع.. ومسير الجيش بهذا العدد الذى نسمعه يحتاج إلى مسير عشرة أيام يقطعها بين مكة والمدينة. هذا إذا لم يصادف تأخر الركب، أو بعض القبائل، فيتأخر مسير الجيش يوماً أو أكثر عن موعده.واستصوب الجميع رأى سلمان.. وأمر النبى بالعمل.. ولم يبق أحد من المسلمين إلا واشترك فى الحفر.وكانت المدينة حينذاك مشبكة بالبنيان والنخيل من سائر جوانبها إلا جانباً واحداً مفتوحاً، وهو الذى حفر فيه الخندق وما ان تم حتى خرج النبى بعسكره، وهو لا يتجاوز الثلاثة آلاف، وتمركز فى سفح جبل المدينة وصار الخندق بينه وبين القوم.وعندما وقف على الخندق أبو سفيان ومعه عدد من أصحابه قال: إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها من قبل، وهى من عمل الفارسى – ويعنى به سلمان –.ثم سكت قليلاً الشيخ أبو معاذ، وقد ندت عنه آهة كادت تمزق هدوء الليل.. وقال: لقد ابتلى محمد باليهود.. وان خطرهم كان أشد عليه من خطر قريش وأتباعها وما كانت القبائل اليهودية تهدأ من نسج المؤامرات واثارة الحروب على المسلمين فالدعوة الإسلامية كانت فى مرحلة خطر من كيد اليهود، ولولا لطف اللّه لكان ما كان.. فلقد كانت القبائل اليهودية – حينذاك – ثلاثة، وقد دخلت مع النبى فى عهد، وهى: بنو قينقاع، وبنو النضير، وقريظة.. وكانت المدينة تضم من المسلمين: المهاجرين، والأنصار، وبها من المشركين من الأوس والخزرج ممن لم يسلم، ومن اليهود بنو قينقاع فى داخلها، وبنو قريظة فى فدك، وبنو النضير على مقربة منها، ويهود خيبر فى شمالها..وظن اليهود أول هجرة الرسول إلى المدينة انهم يستطيعون التحالف مع الإسلام على النصرانية، والتى كانوا يضمرون لها حقداً دفيناً، فلما لم يستطيعوا ذلك جهروا بعدائهم للإسلام ونقضوا عهودهم، وانتهى عندما احتدم الصراع بجلاء يهود بنى النضير عن المدينة فى السنة الرابعة من الهجرة. وكان بنو قينقاع قد نقضوا العهد أيضاً، ولم يبق إلا بنو قريظة. ثم عندما تألبت الأحزاب على رسول اللّه فى السنة الخامسة، وقاد أبو سفيان جيشاً لحرب محمد كان يهتم لاستمالة بنى قريظة له، طالما وأن قبيلتين من اليهود انضمت إلى الجيش المحارب.وفكر أبو سفيان بادئ الأمر بمن يقوم بهذه المهمة، فلم يرَ أليق من يحيى بن أخطب فهو رجل معروف بالدس والدهاء والمكر. وفعلاً توجه الرجل إلى كعب بن أسيد – زعيم بنى قريظة– ولم يعد لأبى سفيان، حتى حمل معه رضاه بنقض العهد.وعرف المسلمون الخبر، فعظم الأمر عليهم، واشتد فيهم الخوف والهلع، وأمعن الغزاة بالحصار على المدينة حتى وصل قرابة الشهر، مما أثر على معنوية قسم من المسلمين ودب الجزع فى نفوس المنافقين، والضعفاء من المسلمين، ويقول أحدهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب لحاجته..وآخر يستأذن الرسول بالسماح له ليذهب فيحفظ بيته، إذ يقول: – يا رسول اللّه، إن بيوتنا عورة من العدو، فأذن لنا ان نخرج فنرجع الى دورنا فليس فيها من يحرسها.وعلى هذا اللون بدأ الانجراد النفسى يتحكم فى نفوس البعض مما اضطر النبى ان يراسل قبيلة غطفان – وهى القوة الرئيسية الثانية، العربية، والتى تقابل قريشاً – على اتفاق ومصالحة يتم بينهما فيعطيهم ثلث ثمار المدينة مقابل عودتهم بدون حرب فوافقوا مبدئياً على الأمر، وقبل ان يبرم العهد أرسل النبى الى سيدى الأوس والخزرج: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة يعرض عليهما فكرة الاتفاق، ويأخذ رأيهما فى ذلك..وأجاب الزعيمان، بما يعبر عن واقع الإنسان المسلم الذى يعيش قضيته فى أحرج ظروفها: يا رسول اللّه، أمراً تحبه فتصنعه، أم شيئاً أمرك اللّه به لا-بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟.ويقول الرسول: (بل شىء أصنعه لكم.. واللّه ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد، وكالبوكم (أى اشتدوا عليكم) من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما).فقال له سعد بن معاذ: يا رسول اللّه، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك باللّه وعبادة الأوثان، لا نعبد اللّه، ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى (ما يصنع للضيف من الطعام)، او بيعاً. أفحين أكرمنا اللّه بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟! واللّه ما لنا بهذا من حاجة واللّه لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم اللّه بيننا وبينهم.قال رسول اللّه: فأنتم وذاك..هذان الموقفان المتناقضان لدى أصحاب الرسول كانا يتعاظمان يوماً بعد يوم.. فالذين آمنوا وأخلصوا لدينهم – كما رأينا من حديث شيخى الأوس والخزرج – لم يهمهم إن طال الحصار أو قصر، وكثر عدد المحاربين أو قل، وهم يؤكدون لنبيهم وقوفهم الى جانبه مهما ضاقت السبل وتطورت الأحوال، ولم يمدوا للعدو يداً ذليلة.. أما الذين دخلوا الإسلام كرهاً ومصلحة، أخذوا يتذرعون بشتى الطرق

للهرب من القتـال..مرّت حالـة لاـ حرب ولا سـلم علی الطرفین طویلاً. المـدة تصل قرابـة الشـهر، ولم یکن بینهما غیر الحصار والترامی بالنبل والحصی، مما أثار الجزع فی نفوس الطرفین، وخاصة لدی المشرکین، فإن أبا سفیان أخذ یخشی هبوب العاصفة، وتفرق القبائل من حوله، فالسأم والضجر بـدا علی جیشه.. أمـا المسلمون، فـإنهم وإن ضاقوا ذرعاً بالحصار لکنهم علی مقربـة من عوائلهم وبیوتهم، وهذا ما یساعد علی التمنع والصـمود..وصـمم ابو سفیان علی التحرک ضد المسلمین، فحرّض عدداً من فرسان قریش، علی الاصطدام المباشـر بالمسـلمین، واختار لهـذه الغایة: عمرو بن عبد ود بطل بنی عامر – وهو من مشاهیر العرب – وعکرمة بن ابی جهل، وهبیرة بن ابی وهب بطلی بنی مخزوم، وضـرار بن الخطـاب، أخـا بنی محارب، وأمثالهم ممن لهم دویّ وسـمعة، ودفع هؤلاء ان یمروا علی خیام أصـحابهم لیدفعوهم علی الاسـتعداد للقتال.. ثم أقبلوا تسرع بهم خیولهم وجالوا حول الخندق، حتی تلمسوا فیه ثغرة فاقتحموا..وکانت هـذه المبادرة قد أرعبت المسـلمین. ووقف عمرو بن عبد ود وحوله جماعته یصرخ فی المسلمین: هل من مبارز؟وقف قبالته عدد من المسـلمین، ولکن الوجوم خیم علیهم فلم یجبه أحد، وقام علی یطلب من النبی أن یأذن له فی مبارزته فیمنعه، وکرر عمرو النداء ثلاثاً، وصـار یقول: أین جنتکم التی تزعمون أن من قتـل منکم دخلهـا أفلاـ یبرز إلی رجـل؟.فأذن النبی إلی علی لیخرج له، وما ان برز الیه، وعینه الکریمة مشدودة إلی ابن عمه، وهو یقول: (برز الإیمان کله إلی الشـرک کله).وتقابل البطلان، علی بن أبی طالب بکل بساطته، یقف فی وسط المیدان، وعمرو بن عبد ود لم یترک شیئاً من لباس الحرب إلا وارتداه، وبرز کأنه جبل معلم.وبادر بطل المشرکین علیاً بالسؤال: مَن المبارز؟– فتی عبـد مناف علی بن أبی طالب.ویهز الفارس المغوار ویرد بصوته الأجش: ولم یا ابن أخی تقتل نفسک ألم یکن لابن عمک غیرک یخرجه لمبارزتی، فواللّه ما أحب أن تکون طعمه لسیفی.وبکل بطولة وإصـرار یقول علی: ولکنی واللّه أحب أن أقتلک.ویشـتد الغضب بعمرو، ویهم بالانقضـاض علی (فتی أبی طـالب) فتصـدی له أبو الحسن قائلا: یا عمرو إنک کنت تقول لا یـدعونی أحد إلی واحدة من ثلاث إلا أخذت واحدة منها.. قال عمرو: أجل. قال علی: فإنی أدعوک إلی الإسـلام، قال عمرو: لا أرید هذا، فقال علی: أو ترجع إلی بلادک فإن یک محمد صادقاً کنت أسـعد الناس به، وإن یک کاذباً کان الذی ترید، قال عمرو: لا ارید هـذا أیضاً، فما هی الثالثـة؟ قال علی: أدعوک الی النزال راجلا، فأنت فارس وأنا راجل.. فما کان من عمرو إلا أن عقر فرسه، وضـرب وجهه، وأقبل علیه شاهراً سیفه وتقابلا فی صراع حامی الوطیس..وعلی مقربة من المعرکة تقف کتلتان: من جهة جماعة عمرو بن عبد ود، وهم ینتظرون انکشاف الغبار، ولا یشـکون ان النصر لصاحبهم.. وقبالتهم وقف آخرون، فیهم الخلّص من أصحاب النبی یتوسطهم سلمان، وأبصارهم شاخصـة الی میـدان المعرکـة، وکلمة الرسول الخالدة ترنُّ فی آذانهم، وتملأ آفاقهم (برز الإیمان کله إلی الشـرک کله)..وانکشـفت المعرکـة، وإذا بعلی فوق صـدر عمرو یحز رأسه.. روّع المنظر الطرفین ولم یتمالک عکرمة بن ابی جهل إلا أن ألقی رمحه وهرب خائفاً، وتبعه بقیه أصـحابه. وکان لهذا الموقف الخاسر أثره الکبیر فی تضعضع معنویات المهاجمین، وتحطم قوتهم ودب الذعر والخوف مما اضطـر أن یفکر أبو سـفیان – خوفاً من فرار أصحابه – فی المبادرة بالتراجع، أو القتال، فأرسل إلی بنی قریظة یقول لهم: إنـا لسـنا بـدار مقـام، قـد هلک الخف والحافر (الإبل والخیل) فاغـدوا للقتال، حتی نناجز محمـداً ونفرغ ما بیننا وبینه.. ولکن بنی قریظة لم ترغب فی إثارة الحرب، بعد أن تحسست تضـعضع الجیش المحارب. ولما شعر أبو سفیان بذلک وقف وسط جیشه قائلاً: یا معشر قریش إنکم واللّه ما أصبحتم بـدار مقام، لقـد هلک الکراع والخف وأخلفتنا بنو قریظـة وبلغنا عنهم الذی نکره، ولقینا من شدة الریح ما ترون، لا یطمئن منها قدر، ولا تقوم لنا نار، فارتحلوا فإنی مرتحل.. ثم قام إلی جمله، وهو معقول، فجلس علیه، وضـربه فوثب به علی ثلاـث، فواللّه مـا أطلق عقـاله إلا وهو قائم.ولم یکـد یبصـر به الجیش الغازی حتی تفکک، وأخـذ کل یرکـب دابته ویعود، ولا یلتفت لصـاحبه، ولم یمس المسـاء حتی بـدت الصـحراء خالیـة منهم..وعاد رسول اللّه وأصـحابه إلی المدینـة، ویلتفت بعض الصـحابة لسلمان قائلاً: جزاک اللّه خیراً یا سـلمان، لقـد حفظت المدینـة وجیشنا بالخنـدق.وتنازع المهاجرون والأنصار، کل یقول سـلمان منا، شخصیـة فذة (بحر لا ینزف) کما قال عنه علی بن أبی طالب.. لکن الرسول الأعظم ینهی النزاع عن هذا الأمر فیقول: (لا تقولوا سـلمان الفارسـی، بـل سـلمان المحمـدی.. وهو منا أهل البیت).وسام رفیع یناله سـلمان من رسول اللّه، ذلک یقول عنه النبی مرة: (أمرنی ربی

بحب أربعة، وأخبرنى أنه سبحانه يحبهم: على، وأبو ذر، وسلمان والمقداد).ويقول النبى: (لو كان الدين فى الثريا لناله سلمان).واستمرت هذه الشخصية الكريمة فى ظل رسولها العظيم تستمد من أخلاقه، ما يرفع مجدها، وتعبّ من غيرها بما يبنى شخصيتها الإسلامية على أساس متين وصارت لها مكانة فى قلب النبى يغبطها عليها الكثير من الصحابة.. تقول عائشة: (كان لسلمان مجلس من رسول اللّه يتفرد به بالليل، حتى كاد يغلبنا على رسول اللّه).لقد دخل عليه قوم، وهو أمير على المدائن، وكان يعمل الخوص، فقيل له: لم تعمل هذا، وأنت أمير يجرى عليك رزق يبلغ خمسة آلاف دينار، فتتصدق به، فقال: إنى أحب أن آكل من عمل يدى..ثم توقف الشيخ أبو معاذ قليلًا، وكفكف دمعة حزن، واستأنف حديثه قائلًا: رحمك اللّه يا أبا عبد اللّه، فقد قيل له مرة ابن من أنت؟ قال: أنا سلمان ابن الإسلام من بنى آدم: كان قوياً فى إسلامه، صامداً لعقيدته، مخلصاً لنبيه وآله، وكان واقعياً زهد فى الدنيا، يعمل الخوص، ويبيعه فيأكله، ويفترش عباءته لينام، ويباهى بأخلاقه.وفى العقد الرابع من الهجرة يلبى نداء ربه. وخلف بعده ذكراً خالداً ما دام الزمان.

الحباب بن عبدالله بن أبى

وانتشر الظلام فى سماء المدينة، وتوافد رواد مجلس الشيخ أبى معاذ الى مجلسهم كالعادة، وهم فى شوق لما سيحدثهم فى ليلتهم هذه.وفى تلك اللحظات أقبل الرجل، يحييهم بأحسن السلام والبسمة الهادئة، وبعد استراحة قصيرة بدأ حديثه..دعا داعى الاسلام فى مكة المكرمة، واستقبل الناس – خصوصاً فى الجزيرة العربية – هذه الدعوة بكثير من التعصب فقد شقَّ عليهم أن يدعو صبى يتيم لنظام يطيح بكيان آلهتم وينفى جميع مبررات وجودها، فكان من جراء ذلك أن بقى قسم كبير من هذه الزمرة معلنين الحرب الشعواء على المسلمين يسومونهم سوء العذاب، وينكلون بهم أشد التنكيل بدافع من روح عدائية حاقدة، ولاقى المسلمون المخلصون فى إسلامهم كل الأذى من هذه الطغمة القاسية التى صهرتها دوافع الضغينة وقسوة المصير.ولكن رغم هذه الصعوبات فالدعوة أخذت بالازدهار وأخذت الجموع تلتف حولها، تؤمن برسالة الاسلام تلك الرسالة التى جاءت لإنقاذ البشرية، مما اضطر البعض من تلك الشراذم أن يسلموا فى ظاهرهم، وهم يكتمون فى سرهم غير ما يعلنون.ومن هؤلاء النفر الذين نافقوا فى الدين، هو عبد اللّه بن أبىّ بن سلول الانصارى، ذلك الرجل الذى كان سيد الخزرج وكبيرها وشريفها–طبعاً فى قاموس الجاهلية – وقد اجتمعت قبيلته على أن يكون زعيمهم ويسندوا اليه أمرهم، ويكون عليهم ملكاً – وذلك قبل بعثة الرسول الأعظم-وعندما صرح الرسول بالدعوة، والتف الناس حوله، تهدمت آمال عبد اللّه بن أبى، لقد كانت آمال هذا الرجل واسعة، فقد كان يأمل أن ينال ملك (يثرب) بعد أن دانت له قبيلته وأمرته عليها.والخزرج: قبيلة يعتد بها، فاذا ما دانت له، واقتنعت بإمرته فلا بد أن يخضع له مما حولها كرهاً أو رضا.ويشرق نور الاسلام، وتزحف الخزرج الى رسول اللّه، تمد يدها مسلمة لدعوة الحق، ويحسن إسلامها، ويتفرق العدد المرصود من حول هذا الرجل الطامع، فلم يبق له إلا أنفار يستنشق بواسطتهم ريح ملكه المنهار، وسطوته المتداعية على عتبة الاسلام، ويضطر أن يمد يده طائعاً ضامراً الكره الى محمد (صلى الله عليه وآله)، يبايعه على الاسلام، ولكنه يكتم فى قلبه أكثر من موجدة على (فتى هاشم) ودعوته، ولا بد أن ينتقم لمجده السليب.وعبد اللّه بن أبى – كما تقدم – شريف الخزرج، وكان معروفاً لدى الجميع، وكانوا يعلمون موقفه من الاسلام، لهذا لا نستغرب إذا رأينا داره تصبح بعد زمان قصير موئلًا للمنافقين، والحاقدين على الاسلام، يجتمعون فيها آناء الليل، وأطراف النهار يتهامسون فى أمر الدعوة الجديدة، ووضع الحواجز والأشواك فى طريقها.وتجمعت أجهزة السوء يوماً تتداول أمرها وتستعرض الموقف وإذا بابن أبى يطلّ عليها. طلع عبد اللّه بن أبى على جماعته، وهو يأكله الحسد، ويجلجله النفاق، يطوى نفسه على صرخة مكبوتة ولوعة كامنة فى أعماقه، ويتحرق ألماً وغيظاً، ويعود الى داره ملتاع الجانب فتستقبله زمرته تخفف منه المأساة.-أهلاً بأبى الحباب، ماذا وراءك؟وُيحتقن وجه الرجل، فتغور نظراته، ويتصبب عرقاً وتعلوه صفرة، ويجاهد كتمان صرخة تحاول ان تنطلق من بين أسنانه فيشد عليها بقوة.وزمرته تلحظ عليه كل هذا، فتتهامس فيما بينها، وتبحث عن السبب، ولكن محاولتهم تذهب

سدی، ویلتفت الیه بعضهم یخاطبه: - ما حلّ بک یا أبا الحباب؟فیمتعض الرجل، ویزداد ضیقاً، ثم یلتفت الیهم، وصفرة وجهه قد مالت الی الکدرة: - لا تدعونی بهذا الإسم بعد هذا، لقد هدم شموخی الحباب وخابت آمالی فیه، فلا أرغب به.وتعلو علی الوجه مسحة من تساؤل، لماذا یا ابن أبی؟- لقد صبا الحباب لدین محمد، وخلص له، وأبدل اسمه بعبد اللّه.أتریدون أن أعتز بهذا الولد بعد هذه المصیبة؟وخرست الألسن، وکفوا عن الحدیث.وامتد الزمن، والولد یحظی بالعطف عند الرسول، ویزداد کرهاً لأبیه، الذی ما فتأ یحارب رسول اللّه، ویعلن المعصیة علیه فی کل مناسبة، وعجز الولد فی محاولاته المتکررة لتوجیه والده إلی طریق الصواب، ولم یترک طریقة توصله إلی مرماه إلا وسلکها، ولکن مع الأسف کانت النتیجة الفراق مما اضطر الابن أن یهجر أباه، ویترک داره.والأب متمادی فی غیه لا یرتدع عن عقد الاجتماعات المشبوهة - فی داره، ضد الإسلام، ولم یرض لنفسه أن یخضع للحقیقة لحظة دون أن یثیر المشاکل فی طریق المسلمین.وهاجر رسول اللّه من مکة إلی المدینة، وکان الحباب (عبد اللّه) من جملة الذین لازموا النبی فی هجرته، فقد ثقل علیه موقف أبیه، فترکه ولزم نبیه، وکأنه لم یعرف هذا الأب المنکِر والمتنکر للاسلام مما زاد کره عبد اللّه لولده، وأخذ ینتظر الساعة التی یفرغ فیها حقده.وتبقی فی نفس کل من الأب والولد لوعة، ومرارة علی الآخر. لقد عز علی الولد الذی.سلم فأحسن إسلامه أن یکون أبوه من أشد الحاقدین علی الإسلام، وأن یکون مصدراً للأذی والشغب، وسبباً قویاً فی عذاب النبی. وکانت هذه الأزرار تثیر فی نفسه خواطر فتدفعه علی الإقدام علی قتله وإراحة الاسلام والمسلمین منه، غیر أن رسول اللّه - وهو ممثل الانسانیة - کان یخفف من برم الحباب إزاء والده، ویطلب منه أن یعامله بالحسنی، وأمر رسول اللّه مطاع ممتثل علی کل حال، ویسکت المؤمن علی مضض.ویشرق الاسلام، ویبسط جناحیه علی المدینة ویضطر الرجل الحاقد ان یمد یداً غیر مخلصة لمحمد، فیسلم ظاهراً، ویعود بعدها لزمرته، فیقول لبعض أصحابه: - مادت الأرض بی، وأنا أمد یداً لمحمد فأبایعه مکرهاً.ویرد الرجل علیه: وما یضرک منها، ومصلحتک الشخصیة اقتضتها.ویعرف الکل أن ابن أبی مسلم فی لسانه، کافر فی قلبه.. یتربص الفرصة لیوقع بالاسلام وأتباعه ما یروی حقده الجاهلی.حتی کانت وقعة بدر فخرج المسلمون، وتخلف (عبد اللّه بن أبی) عن مساندة جیش المسلمین متمارضاً، لقد کان - کما یقولون - مسلماً فی لسانه، أما فی عمله فهو علی الاسلام، ولکن موقف الولد المعتز بالاسلام کان الامثولة الحیة، فقد أبلی بلاءً حسناً فی ذلک الیوم، وانتهت بدر، وزادت هذه الوقعة والمسلمون منتصرون، من غلواء (عبد اللّه الأب)، وبقی مستمراً فی غیّه وتعنته ضد الاسلام.وبعد أیام خرج المسلمون لأُحد، والموقف صارم، والحرب علی الأبواب، ولاحظ (ابن أبی) الظرف فرآه مناسباً لأحد الثأر من رسول اللّه، فأخذ یجول علی المسلمین یخذلهم، وتمکن بخبثه من إرجاع الکثیر من المسلمین القریبی العهد بالاسلام عن نصرة رسول اللّه حتی حددها البعض بالثلث.ولوی الحباب - ذلک الرجل المؤمن - رأسه حیاءً من هذه الحادثة أمام رسول اللّه، و شهر سیفه فی وجه الخزرج، وقاتلهم قتالاً شدیداً، مما جلب انتباه النبی فرعاه، وأحسن رعایته وإن کانت صورة أبیه، وموقفه المخزی لم تفارق مخیلته أبداً.وأعلن الرسول (صلی الله علیه وآله) سنة ست، أو خمس - علی اختلاف فی التاریخ- عزمه علی غزو بنی المصطلق، وهم من خزاعة بعد أن وصلت الأخبار، بأنهم عقدوا العزم علی قتاله بقیادة الحارث بن ابی ضرار: سید هذه القبیلة، وکبیرهم.وبادرهم الرسول، وهم یتوجهون الیه، وکان (المریسیع) - وهو موضع فیه ماء - مرکزاً لتقابلهم، وقتالهم.ولم تمضِ لیلة علی العسکرین، حتی أمر الرسول علیاً أن یزحف بالرایة علیهم، واشتبک الجیشان، ولم تقع خسائر بالأرواح فیها کثیرة، فقد شعر بنو المصطلق بضعفهم فاستسلموا ونقل رسول اللّه أبناءهم وأموالهم، فأفاءهم علیهم.وکان ابن أبی مع المسلمین الذین خرجوا فی هذه الغزوة خرج لا لیدافع، بل لیغنم شیئاً.ووضعت الحرب أوزارها، وتفرق المسلمون یخففون عن أنفسهم ثیاب الحرب وعدّتها، بینما البعض منهم ذهب الی بئر ماء تجمع علیها نفر من المسلمین لیملأوا جرارهم وقِربهم بما یحتاجون الیه من الماء.وفی هذه الأثناء یحدث بین شخصین من المسلمین نزاع علی الماء وکان أحدهم من المهاجرین، والآخر من الأنصار، وإذا ما اشتد النزاع بینهما، نادی کل منهما أصحابه، وکادت تقع الواقعة بین المسلمین.وسمع ابن أبی بهذا النبأ فیضطرب ویولول، ثم یصرخ فی وجوه الجالسین حوله من الخزرج: (أوقد فعلوها، قد نافرونا وکاثرونا فی بلانا، واللّه ما أعدنا وجلابیب [۴] قریش هذه إلا کما قال القائل: (سمن کلبک

يأكلك) أما واللّه لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضر مجلسه من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما واللّه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لتحوَّلوا الى غير بلادكم، لقد قلت لكم لا تنفقوا عليهم، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون ويخرجوا أو يهربوا).ثم سكت والحقد يغلى فى صدره كأنه المرجل، وانتشر الخبر حتى بلغ مسمع رسول اللّه فتأثر منه غاية التأثر، وطلب البعض من رسول اللّه أن يسمح بقتله، ولكن الوفاء الاسلامى المتجسد فى رسول اللّه أبى أن يفعل ذلك بل أراد أن يضرب مثلاً أعلى للإنسانية جمعاء فأجابهم: (إنى أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).واضطر نبى الرحمة وهو بعد لم ينفض يديه من غبار الحرب وفى تلك الظهيرة القاسية، أن يعلن الرحيل، ولم يثنه عن أمره توسل المسلمين بأن يتأخر عن أمره. فإنه (ص) حاول بأن يسير ليطوى هذا الحديث عن اسماع الناس، ويشغلهم عن التحدث به، والحيلولة دون التمهيد للنتائج الوخيمة المرتبة عليه ان انتشر.ولملم المسلمون أمتعتهم امتثالاً لأمر رسول اللّه بالسفر، وتقدم اليه شيخ من المسلمين هو أسيد بن خضير يلتمس من النبى أن يؤخر سفره فى هذه الساعة التى يصعب بها المشى، وشمس الظهيرة تلفح وجوههم.ولكن رسول اللّه التفت اليه وقال: أوَ ما بلغك ما قاله صاحبكم؟- وأى صاحب يا رسول اللّه؟- عبد اللّه بن أُبىّ.- وما قال؟- زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل.- يا رسول اللّه أرفق به. فواللّه: لقد جاء اللّه بك، وأن صحبه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، وانه ليرى أنك قد سلبته ملكاً.ولكن رسول اللّه أصرّ على المسير، ليشغل الناس عن حديث ابن أُبىّ، وأمر الرسول المسلمين بالتوجه إلى المدينة عائدين.ويتألم الحباب لهذا النبأ، وكاد يصعق لهول ما سمع، ويهرع إلى الرسول، ودموعه تتقاطر على خديه، ويقف قبالته، والألم يعصره عصراً ويقول: يا رسول اللّه بأبى أنت وأمى، أنت واللّه الاعز وهو الأذل، أما واللّه لقد قدمت المدينة يا رسول اللّه وأهل يثرب ليعلمون: ما بها أحد أبر منى، ولئن كان يرضى اللّه ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله، فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.فقال رسول اللّه: بل نرفق به ونحسن صحبته معنا.ولكن عبد اللّه الابن لم يقتنع بهذا، وبقيت كلمة أبيه القاسية تصرخ فى أعماقه، وشق عليه هذا الأمر، ولا بد أن يثأر لنبيه وللّه، فكتم فى نفسه أمراً، وصمم على تنفيذه.وفى صباح مشرق كانت فلول المتخلفين تدخل المدينة، وكان شيخ المنافقين ابن أبىّ معهم، وشاهد الناس الحباب بن عبد اللّه ممتشقاً حسامه يقف على عتبة المدينة، والناس لا تعرف من أمره شيئاً، غير أن مظاهر الغضب كانت تثير فى المشاهدين أن شيئاً يكتمه الحباب، وسوف ينفجر.وأقبل ركب المتخلفين تتقدمهم ناقة شيخ المنافقين، فوصل باب المدينة يحاول أن يلجها.فتقدم الحباب وضرب وجه ناقة أبيه بالسيف، فأثناها عن سيرها، وتعجب الناس من هذا الفعل، وصدوره من الابن البار، وصاح به أبوه، ولكن الولد الذى دفعه اخلاصه لدينه لم يأبه لصراخ أبيه، وإنما وقف أمامه وقد شهر سيفه وقال له: ألست القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؟أما واللّه لسوف تعرفن العزة لك، أم لرسول اللّه، واللّه لا يأويك سقف إلا بإذن من رسول اللّه.واصفرَّ وجه الأب، وكاد يغشى عليه، ماذا يرى، إن ولده يمنعه من دخول المدينة بدافع من إيمانه وعقيدته، وأدار عينيه فيمن حوله فوجد القوم فى حيرة وذهول، فصاح مشدوهاً: يا للخزرج ابنى يمنعنى من بيتى.وكرر النداء، وصدى النداء يكر راجعاً اليه.فقد شده الناس هول المنظر، فقال الحباب لأبيه: واللّه لا تأويه أبداً إلا بإذن من رسول اللّه.وزحف المشاهدون إلى الحباب يلتمسون منه أن يسمح لأبيه بالدخول، فأبى وقال: واللّه لا يدخله إلا بإذن من اللّه ورسوله.وفشلت جميع المحاولات والتوسلات، فقد أصر الحباب أن يضرب أباه بسيفه لو حاول أن يخطو خطوة واحدة باتجاه المدينة.والأب المنكسر يقف على عتبة البلد، والذل قد كساه خزياً وعاراً، كل شىء كان ينتظره شيخ المنافقين، إلا هذا الموقف لم يحسب له حساباً.وطال به المقام، كما طال بالمشاهدين الوقوف، ولما أعيتهم الحيلة ولم تنفع التوسلات مع الحباب ركض نفر إلى رسول اللّه ونقلوا له موقف الحباب من أبيه – رأس المنافقين – ذلك الذى نزلت فى حقه سورة المنافقين كلها وانزاحت غمامة حزن، كانت قد ألمت بمحيا رسول اللّه، وقال: اذهبوا اليه، فقولوا له: إن رسول اللّه يأمرك بأن تترك أباك ليذهب إلى بيته.وأخبروه بأمر الرسول. فقال بفخر واعتزاز: – أما إذا جاء أمر النبى فنعم..وأرجع حسامه إلى غمده، ورمق أباه بنظرة طويلة فيها كل معانى التحدى والصرامة، وقال له: – لولا أمر رسول اللّه لما تركتك

تدخل بيتك، ولو اجتمعت عليَّ الخزرج برمتها، إلا أن يفل صارمى ويسكت نفسى.وغض الأب عينيه على حديث ولده، وأرخى عنان ناقته، وسار مخذول الجانب إلى بيته ليتقى فيه عيون الناس التى لاحقته من باب المدينة حتى بيته، وهى كسهام المنية توغر صدره وتذكره بموقفه المخزى، وبطولة ولده فى الدفاع عن عقيدته ودينه تلك التى سيمجدها التاريخ مهما طال وامتد.واستقبل الرسول الحباب مبتسماً، ثم يلتفت الى أصحابه الملتفين حوله فيقول: (لقد وقف الحباب موقفاً من الاسلام تجلى فيه صدق العقيدة والإيمان. وفق اللّه الحباب، وجزاه عن الاسلام خيراً).

سعد بن الربيع

جزاك اللّه يا سعد، فقد أخلصت لدينك، ووفيت لنبيك.هكذا افتتح حديثه الشيخ أبو معاذ فى ليلته هذه.. وسكت قليلًا، وبدأت أنامله تلعب بلحيته، وكأنه يستعرض ذكريات الماضى بشيء من التفكير.. ثم قال: كان سعد بن الربيع من كبار الخزرج، وزعمائها. وقد سمع - كما سمع غيره - حديث الدعوة، وما يحيطها من أحداث فى مكة، وكان يشعر فى أعماقه برغبة خاصة لسماع أحاديث وأنباء الدعوة. ولكنه لم يجرأ أن يحدث بذلك أحداً.وتشاء المقادير أن يخرج عدد من الخزرج الى موسم الحج وكان رسول اللّه من عادته أن يذهب لزيارة الحجاج والقادمين كلما طرق مكة حاج أو قادم، يعرض عليه الاسلام، ويقرأ له آيات من القرآن، وهكذا كان يبلغ رسالته المقدسة.وعرف النبى أن عدداً من الخزرج وصلوا مكة، فاستقبلهم وأحسن بهم الترحاب، وتحدث لهم ما جلب نفوسهم اليه، ثم أخبرهم عن رسالته ودعوته.. فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا واللّه إنه النبى الذى توعدكم به اليهود، فلا تسبقنكم اليه.. فأجابوه إلى ما دعاهم. وأخبروه بأن لهم قوماً كثيراً سوف يخبرونهم بذلك، وعسى أن يستجيبوا له.وعاد الركب الى المدينة، واجتمعوا بقبائلهم وتحدثوا لهم عن دعوة محمد، وأهدافها القويمة، ولم يمرّ وقت طويل حتى كانت غالبية الخزرج قد دخلت الاسلام. كما استجابت لها وجوه من الأوس..وحلَّ الموسم الجديد للحج، وقصد مكة (اثنا عشر رجلًا) من الخزرج والأوس، والتقوا بالنبى ب(العقبة) فبايعوه على كل شيء عدا القتال.. وسميت (العقبة الاولى).قال الراوى: (وكنا اثنى عشر رجلًا، فبايعنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك باللّه شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف...).وعادت القافلة الى المدينة، ومعها رسول محمد (مصعب بن عمير) أمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم فى الدين.. عادت القافلة، وهى تحمل من مسؤولية العقيدة ما يخفف عنها وحشة الطريق، ويحدوها شوق متناهى على الحفاظ والوفاء لهذه الدعوة الجديدة.وطوى العام أوراقه الخضراء والصفراء، وأجدبت أرض وأمرعت أرض، وقرب الموسم الذى يقصد الناس فيه مكة.. وعاد مصعب الى مسقط رأسه ليجدد عهداً برسول اللّه، وكان معه عدد كبير من المسلمين.. وتم الإتفاق على أن يكون الموعد هو: (العقبة).وفى ليلة مشرقة، وبعد أن مضى منها جذوتها الأولى، وهدأت الأنفاس، وهوّمت العيون تسلل عدد من الأوس والخزرج ممن صحبوا مصعباً إلى مكان التلاقى، واجتمعوا فى الشعب عند العقبة وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتان هما: نسيبة بنت كعب، أم عمارة، وأسماء بنت عمرو، أم منيع..ولم ينتصف الليل حتى أقبل محمد، ومعه العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ لم يدخل الإسلام -، لكنه أراد أن يستوثق من أمر ابن أخيه، فلما تكامل المجلس، قام العباس خطيباً: يا معشر الخزرج [۵] إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا فهو فى عز من قومه، ومنعة فى بلده، وإنه أبى إلا الإنحياز اليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز ومنعة من قومه ومن بلده.فقام أحد الزعماء، وقال للعباس: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول اللّه، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت..واستعد رسول اللّه للحديث، وسكت الكل، فكأن على رؤوسهم الطير، وعيونهم تعبُّ من نور النبوة ما يقوى عزيمتهم ويشد إيمانهم.وتكلم رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)، وتلا القرآن، ودعا إلى اللّه ورغب فى الإسلام.. ثم قال: أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه عوائلكم وأبنائكم.فأخذ البراء بن

معرور – وهو من كبار الشخصيات – بيده وقال: نعم، والذى بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا [۶] فبايعنا يا رسول اللّه، فنحن واللّه ابناء الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر..وتكلم أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول اللّه، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها – يعنى اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك اللّه أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟فتبسم رسول اللّه، وقال: (بل الدم بالدم، والهدم بالهدم [۷] أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم) وانتهت بيعة (العقبة الثانية).ثم قال الرسول: اخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيباً فأخرجوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس..ثم ان رسول اللّه (ص) قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى – يقصد المسلمين – قالوا: نعم..وقبل أن تمد الأيدى للبيعة، وقف أحد الأصحاب، وهو يخاطب اخوانه قائلاً: يا معشر الخزرج، هل تدرون علامَ تبايعون محمداً؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن اتركوه، فهو واللّه إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه، على نهكة الأموال وقتل الأشراف، فخذوه، فهو واللّه خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فما لنا يا رسول اللّه إن نحن وفينا بذلك؟ قال: الجنة. قالوا: أبسط يدك، فبسط يده فبايعوه..وتسرَّب النبأ لقريش، وحاولت ان تستقصى الحقيقة لكنها فشلت، ولم تتحقق منه إلا بعد فوات الأوان، وعاد الركب الى المدينة.ثم سكت ابو معاذ قليلاً ريثما يستريح، وبعدها عاد للحديث قائلاً: وكان سعد بن الربيع أحد النقباء الاثنى عشر، الذين اختارهم الأنصار ليكونوا فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم.. ولا أنساه وقد خرج مع من خرج لاستقبال رسول اللّه، وقد أطلَّ ركبه الكريم على المدينة كل يود أن يحل محمد ضيفاً عليه يُشرِّف بيوتهم. ويقول سعد له: يا رسول اللّه، هلم الينا، الى العدد والمنعة.. ولكن النبى الكريم، يقول له ولأصحابه: خلوا سبيل ناقتى، فانها مأمورة.. وبعد لحظات تقف على باب دار ابى أيوب الانصارى.. وكان سعد أحد اولئك الأشخاص الذين لازموا الرسول، واعتنوا بأمره، واهتموا بدعوته.وقويت شوكة المسلمين، وأعلن الرسول عن عزمه على غزو قافلة المشركين العائدة من الشام بقيادة ابى سفيان.. وعلمت قريش بهذا النبأ، فزحفت بقوتها وعدتها متجهة نحو المدينة.. ولم يقف الجيش الزاحف إلا ببدر، وبين عشية وضحاها دارت الحرب قوية عنيفة بين الحق والباطل، وكان نصيب سعد بن الربيع نصيب الأبطال فى هذه المعركة، وعاد الى المدينة يرفل بالنصر والمجد.ثم كانت أُحد، وهرعت قريش بكل إمكاناتها لعلها تنال ثأرها.. وبلغت الأخبار رسول اللّه، وعرضها على أصحابه ليقطعوا برأى فيها، واحتدم الجدال، وطال النقاش، بين مصرّ على مجابهة الأعداء بالعنف، ومقارعتهم بالسيف، وبين من يختار العافية، ويفضل السلم، إلا إذا غزوا فى عقر بيوتهم..وكان سعد بن الربيع حريصاً على مواجهة الموقف بالحزم والشجاعة، طالما وانهم على الحق، ولا يهم البطل القتال، خاصة وانهم عاهدوا رسول اللّه فى العقبة ان يكونوا سيوفاً مسلولة على أعدائه، لم تغمد إلا فى صدورهم، ولم ترد عن نحورهم..ولاحظ الرسول ان الوقت امتد فى الجدل والنقاش، ولا بد أن يضع حداً لذلك، فقام ودخل داره ولبس لامته، وتعمم بعمامته، وخرج على قومه معلناً «ما ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل». وكان هذا التصميم من النبى انذاراً لأن يضع حداً للقيل والقال، وما ان يشاهد الأصحاب نبيهم على هذا اللون من العزم والتصميم، حتى تراكضوا لبيوتهم استعداداً للرحيل..وزحف محمد (صلى الله عليه وآله) بجيشه الذى ناهز الألف بين راجل وفارس، وقد علمتهم بدر ان النصر لم يكن مقروناً بالكثرة والعدد الوافر، وإنما هو من اللّه يمنحه من يشاء، ولمصلحة ما..وتقابل الطرفان، وقد حمى الوطيس بينهما، ودارت المعركة ضارية، وقد اتسمت بالبطولة والوفاء من جهة، والحقد والعصبية من جهة أخرى.. وتساقط الأبطال من كل فريق، وألحت سيوف المسلمين المغاوير تحصد من حشود الكفار ما شاءت، يلفها ابن أبى طالب، ويفريها أسد اللّه حمزة بن عبد المطلب، ويشتت شملها مصعب بن عمير، ويصول عليها سعد بن الربيع، وكاد النصر يرف على المسلمين، لولا طمع الطامعين وأصحاب النفوس الضعيفة يتركون مؤخرة الجيش، فيوقع فيهم خالد بن الوليد – قائد الجيش المعادى حينذاك – يقول الراوى: واللّه لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل أو كثير. إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلوا ظهورنا للجبل فأتونا من

خلفنا، وصرخ صارخ: ألا- أن محمداً قد قتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء..كان يوم أَحد يوم بلاء وتمحيص، أكرم اللّه فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، وكان أصل البلاء على المسلمين خالد بن الوليد فقد تربص الفرصة لينقضّ على المسلمين. وفعلاً كان ما أراد وخلص هو وكتيبته إلى النبى، ورمى بالحجارة، فأصيبت رباعيته وشج عتبة بن وقاص وجهه، وأخذ الدم يسيل عليه، وصار يمسح الدم، وهو يقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربه).والتفّ عدد من خلص الصحابة بالنبى فطوقوه من كل جانب ومنهم سعد بن الربيع، ولم يكن على بن أبى طالب الا ذلك الفارس الذى ينقضّ على الأعداء بجراءة وبطولة لم يشاهد مثلهما فى تلك الحرب، يكشف الحشد عن ابن عمه، ويخفف الضغط عنه.وخط الظلام، ويأس أبو سفيان من النصر، وانه لا سبيل له على قتل محمد، وما دام على وأمثاله يدافعون عنه ببسالة وموت.. وإن الحرب أكلت السواعد القوية من أبطاله.. وإن أصحابه يفضلون إنهائها، فلا- أمل عندهم للغلبة، وكفاهم ما أنزلوه بمحمد من خسائر.. وقتل حمزة خسارة لا تعوض.ووضعت الحرب أوزارها، وأغمدت السيوف، وغادرأبو سفيان وصحبه أرض المعركة. بعد ان جمعوا فلولهم، وتركوا قتلاهم.. عند ذاك أمر النبى أصحابه أن يفرغوا لقتلاهم ومداواة المجروحين.ثم التفت عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه قائلاً: (من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع، أفى الأحياء هو، أم فى الأموات)؟.وقام أصحاب الرسول بالبحث بين القتلى والجرحى عن سعد فوُجد جريحاً، وهو بين الموت والحياة، فوقف عليه أحد المسلمين وقال له: إن رسول اللّه (صلى الله عليه و آله) أمرنى أن أنظر، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟.وتعثرت الكلمات على شفتى الجريح، وهو يصارع الموت وبكل جهد ردّ على صاحبه قائلاً: أنا فى الأموات، وأبلغ رسول اللّه عنى السلام، وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك اللّه عنا خير ما جزى نبياً عن أُمته.. وسكت الجريح لحظة ريثما يسترد أنفاسه المتقطعة، وهو يشير الى الرجل أن ينتظر قليلاً.. ثم تكلم، وخرجت الكلمات هادئة من فم أثلجه الموت..وأبلغ قومك عنى السلام، وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: انه لا عُذر لكم عند اللّه ان خُلص الى نبيكم، ومنكم عين تطرف..وتثاقلت حالة سعد، وجحظت عيناه، وشهق، ومات.وأخبر الأنصارى النبى ما قاله سعد، كما بلَّغ الأنصار مقالته.. ورفع النبى (صلى الله عليه وآله) يديه الى السماء، وهو يقول: (اللهم ان سعد بن الربيع فى ضيافتك، وقد جاهد من أجل دينك، فنوّر قبره، واقبل منه فداءه).رحمك اللّه يا سعد وجزاك عن نبيه خير جزاء، فقد ختمت حياتك الشامخة بالتضحية والفداء.

مصعب بن عمير

وأقبل الليل، وأقبل معه عشاق حديث الشيخ أبى معاذ الى مجلسهم، وشوقهم اليه لا ينقطع.. وكان فى حديثه الليلة متفتحاً يصوغ الكلمات جميلة، وينمق أسلوبه الحلو، بما يجلب به أنظار السامعين.. قال: لفَّ مكة وشعابها حديث المتسللين فى آناء الليل، وأطراف النهار الى دار الأرقم يستمعون الى حديث محمد، وقد تجمع عنده عدد فيهم الكبير والصغير، وفيهم السيد والعبد، وفيهم الذكر والأنثى، وكل يوم آخذ بالتكاثر.وفكرت قبائل العرب فى مكة بأمر هؤلاء، وخطرهم على آلهتهم، وانعقدت الندوات، وازدحمت المجالس للتداول بشأن هذه الدعوة الجديدة، وقد توسع أمرها حتى لم يبد غريباً على الأسماع أن يقال: فلان تبع محمداً، وفلان أصبح من أعضاء بيت الأرقم، ويلوى القوم جباههم متألمين، يكتمون فى صدورهم زفرة الخسران، وحسرة الفرقة.وذات يوم يقبل أبو سفيان على البيت، وقد بدا عليه الغضب ونزَّ الحقد من عينيه، فالتفت القوم اليه، وشىء من الاهتمام قد ظهر عليهم، انهم جميعاً يعرفون أن وراء أبى سفيان حدثاً جديداً وصاح به عتبة: – ماذا وراءك يا أبا معاوية؟واجتاز أبو سفيان هذه الحلقة دون أن يلتفت الى السؤال وهو يتعثر فى مشيته، فلا يكاد يبصر طريقه من ظلام الحقد.وأحس شيبة بخواطر صاحبه، فاستقبله وقد افتعل موجة من الحزن، وبدا كأنه يواسيه فى بليته: يا أبا معاوية، لو تجلس معنا قليلاً نتراشد أمر هذه الجماعة التى انداحت لسحر محمد.وتكشفت أسارير الرجل، ورضى من شيبة هذا الاستقبال وتوسط القوم وأخذ يضحك حتى انقلب على قفاه من الضحك ولم يستغرب الجالسون منه هذا الحال، فقد تعودوا ان يروا منه هذه النوبة كلما طرأ عليه جديد، أو ألح عليه حدث، يدور حول محمد ودعوته.وأفاق قليلاً قليلاً من

حالته، فالتفت الى الجالسين قائلاً: أتعلمون ما حدث اليوم؟ لقد أخبرنى عثمان بن طلحة، بأن فتيعبد الدار (مصعب بن عمير) قد صبا لدين محمد منذ مدة قصيرة وصار يتردد على دار الأرقم كلما جن عليه الليل، ينفث فيه يتيم بنى هاشم سحره.وتعلو الدهشة الجميع، ويصرخ ابو جهل: وحتى هذا الفتى الوسيم الذى يقطر رقة ودلالاً ينحاز الى محمد، ويصبح فى عداد أصحابه؟ يا لخسران آلهة قريش.. لا واللات والعزى، لا بد ان نضع لهذه المهزلة حداً.. وتفرق الجمع، وفى تفكير كل واحد منهم مخطط يضعه للوقيعة بمحمد ودعوته.كانت مكة تعرف مصعب بن عمير شاباً وسيماً، عليه من هيئة الجمال ما يحببه عند أهل مكة.. يرتدى أغلى الثياب ويتعطر بأحسن العطور، وكانت تشخص اليه العيون كلما مر فى شعاب البلد وطرقاتها. تعب من جماله ما تمتلىء به عيون الناظرين، وتستنشق من عبيره ما يبهر الانوف، وكان أكثر من هذا وذاك.وانتشر حديث مصعب وإسلامه كالبرق بين الناس، وكلهم يتساءل: ما الذى حدا بمصعب ان يصبو الى دين محمد الجديد؟وهرع الجميع الى بيت عمير يشكون اليه أمر ولده، وفى الطريق يهمس ابو جهل فى أذن عتبة: ما رأيك لو قتلنا مصعباً وأرحنا آلهتنا منه؟.. لقد صبا الرقيق والمستضعفون فسكتنا وقلنا ليس لهم أثر فى كياننا، أما الآن فقد انجر الأمر الى بطون العرب، وهذا ما كنا نخشاه، فما ترى لو قتلناه واسترحنا منه؟فردَّ عليه عتبة وهو يحملق فى وجهه: لا سبيل لك على قتله، إن لمصعب محبة فى قلوب الناس، فلا يتركوه وحيداً فى الميدان.. مضافاً ان لعمير مكانة بين أهله وصحبه، وليس من السهل عليهم ان يتركوك سالماً بعد ان يقتل فتاهم.وزمَّ ابو جهل شفتيه، وكأنه قنع بما قاله عتبة، فهو على صواب. إن لمصعب محبة فى قلوب الناس. وهما بهذا الحديث إذ أشرفا على حى عمير بن هاشم بن عبد مناف سيد قومه، وكبير سراته، فاستقبلهم هاشاً مرحباً.ولكن أبا جهل لم يطق السكوت ريثما يهدأ الجميع، بل انتفض فى وجه عمير، وقد شهر حسامه، والشرر يتطاير من عينيه، وصاح: أعلمت يا أبا زرارة ما كان من أمر ولدك مصعب إنه صبا إلى دين محمد، وخرج على آلهتنا، فإذا لم تردعه عن غيه فإن سيوف قريش أولى بتأديبه من غيرنا.ولوَّح بسيفه أمام عمير ثم كر راجعاً.وطافت على وجوه القوم سحابة من تأثر واشمئزاز من تسرع أبى جهل وتهوره، فلم تكن إهانة عمير بالأمر الهين. فاستشاط غاضباً، وحاول أن يرد عليه بالمثل، ولكن عميراً سمح لأبى جهل إهانته لأنه فى بيته، غير أن هذا لم يخفف من غضبه.وبكل رفق ولين التفت اليه أبو سفيان وقال: رفقاً بابن عمك يا أبا مصعب إن أبا الحكم لم يقصد بك، ولا بولدك سوءاً إنما هى شنشنة هدرت، وحرقة طغت، فاغفر له زلته.وتفرق القوم إلى مضاربهم، وهم يأخذون على أبى جهل موقفه من عمير.ويعود عمير إلى الدار ليحدث زوجته عن أمر ولده.ومع أفول الشمس ينسل الشاب الوسيم من جماعته ليأخذ طريقه تحت جنح الظلام إلى دار الأرقم، ليجتمع بمحمد ويعب من حديثه أنداه وأعذبه.ويلتفت الفتى يمنة ويسرة، ودقات قلبه تتعالى كلما اقترب من دار الأرقم، وتغوص فى أعماقه أفكار وأفكار، وتجتاح ذهنه أكثر من خاطرة، فيدور معها، وكأنما مشدود بها شداً وثيقاً لا يمكن أن يتحرر منها، ومهما حاول أن يقطع سلسلة خواطره، فإن محاولاته تبوء بالفشل.وعلى عتبة دار الأرقم تجسمت خواطر مصعب، وتصارعت أمامه صور وذكريات، كل منها تأخذ لنفسها إطاراً صاخباً.طارق جديد على أفكاره يلح عليه بالولوج، وقد أخذ بمجامع قلبه، يدفعه دفعاً حيث يريد.. صوت محمد يرن فى أُذنيه، كالنغم الهادى يداعب عقله وحسه، فيعيش فى عذوبته طويلاً طويلاً ووجوه مشرقة بالإيمان تنفث إلى أعماقه روحيتها، كخفة الهواء وانسياب العطر.ثم صورة مكة وسكانها، وصورة أبيه وأُمه، وقومه وموقفهم منه لو عرفوا أمره ماذا يكون مصيره معهم، ويخطر فى نفسه خاطر يلتاع له، ويهتز جسمه هزاً خفيفاً. ذلك منظر أبى جهل وحربته يطارد أصحاب محمد يذيقهم ألواناً من عذابه، ويسيمهم أنواع البلاء.. يتصور كل هذا، ويفكر بعواقب كل هذا. وتوشوش له بعض الخواطر بالعودة من حيث أتى ليسهر، ويمرح مع فتيان الحى، اولئك الذين خلفهم فى رحبة بيته.ولكن صدى الإيمان من أعماقه يتعالى، ويدفعه دفعاً رقيقاً الى دنياه الجديدة، وليذيقه أبو جهل وزمرته ما شاؤوا من عذاب وليصنع أبوه به ما يحب، فإن إيمانه ماض به الى حيث دار الأرقم، الى نداء الضمير، الى موعد محمد.ويلج الدار، ويستقبله الصفوة من الأصحاب مبتسمين يشرق عليهم إيمان الدعوة وتصهرهم عواطف العقيدة، وينساب اليهم الصوت الرزين، يتلو عليهم من آيات اللّه ما شغف بها قلبه وتغور الى أعماقه قوة تلك الكلمات، فتتهلل أساريره إشراقاً وابتهاجاً، وهكذا كان نصيب مصعب من دعوة محمد فى بدء تكوينها.وفى مساء ليل داكن يعود فتى

عمير الى بيته يقطر رقة وعذوبة – كعادته – من مجلسه، وفى عتمة الظلام يلمح ظلًا خفيفاً على باب بيته يقترب منه رويداً كلما اقترب الى داره.وعن مقربة من بيته، سمع صوت أمه الحنون يزحف اليه بشىء من الحنان والحزن. وهى التى كانت شديدة الولوع به، كما كان والده شديد المحبة اليه، حتى لا يمكنهما مفارقته. ويجمد الدم فى عروق مصعب، ما الذى حدا بأمه أن تقف منه هذا الموقف، والليل قد نزع عنه ظله الكبير، ولم يبق منه إلا طرف خفى؟.ويا لهول ما سمع منها أن أباه على وشك الانفجار من الغضب فقد عرف بكل شىء، واكتشف ما كان يخفيه عنه، وقد أصبح عالة على والده، ومصدراً لأقاويل المتشمتين، كأبى جهل وأبى سفيان وأضرابهما.ودارت فى رأسه أفكار وخواطر هل سيصارح أباه بالحقيقة أو يكذب عليه، هل يعطيه المواثيق بعدم العودة لدار الأرقم أم يصرّ على المضى بأمره، وهكذا دارت فى رأسه هذه الأفكار والخواطر وهو يجتاز عتبة الدار، وحاولت أمه أن تثنيه عن الدخول فى هذه الساعة الهوجاء التى فيها أبوه كالبركان من شدة الغضب.ولكن إيمان الفتى بدعوة محمد دفعه إلى مصارحة والده بالواقع الذى يتبناه.. انه لن يسمح لنفسه بالتراجع، والعودة الى الوراء، فالصراحة هو الحل الوحيد، وليتحمل مواجهة الحقيقة بجنان ثابت ومهما كلف الأمر.واصطدم بأبيه فلمح موجة من الغضب تطفو على ملامح هذا الشيخ، وارتسمت على قسماته صورة مشوهة للرجل الذى ضاق بدنياه، واسودت أيامه.ووقف بين يديه، وقد أشاح بنظراته عنه، وحاول عمير أن يتكلم فخانه التعبير، ثم نطق، وفى طيات حديثه شىء ينم عن حزن دفين، ولم يطل التساؤل والاستفسار بينهما، بل انقض عليه أبوه، وأوثقه كتافاً، وصاح بأهله المجتمعين حوله ان يحملوا مصعباً الى البيت الذى أفرده له ليسجن فيه، حتى يعود الى صوابه.وتمر الأيام، والفتى الوسيم رهين السجن قد طال شعره وذبل ضوءه، وبهت شروقه ويتركه جميع متعلقيه، فلم يتردد عليه سوى والدته، وهى تكاد تموت شفقة على ولدها الذى سرق نوره ثقل السجن وامتص جماله كابوس الهم، وكلما حاولت ان تثنيه عن عزيمته للدعوة الجديدة لينعم بالحياة السعيدة التى يفرشها له أبوه، كان يزداد صلابة وإيماناً بعقيدته.وهكذا ديدن أصحاب محمد بين تعذيب وتشريد، وسجن وتبعيد، مما اضطر الرسول الأعظم أن يدعو أصحابه الى الهجرة هرباً من أذى قريش الى مكان بعيد عن عيون الحاقدين ويختار لهم الحبشة.وتزحف الصفوة الطيبة الى تلك الديار النائية لتتقى بهذا السفر المضنى مشقة الأذى، والعذاب من هؤلاء القساة.ويترامى النبأ الى أسماع مصعب، وهو فى سجنه الانفرادى ويفكر فى اللحاق بهم، وطال به التفكير. وفى زحمة الخواطر المرة تدخل أمه عليه، وترثى لحاله، ويؤلمها ان ترى حبيب قلبها وهو رهين آلامه.ويفيق على آهات امه وزفراتها التى نفرت منها دون إرادة وقصد، ويلتفت اليها، وقد طبع على ثغره ابتسامة هادئة وقسماته تنمُّ عن توسل عميق: – يا أماه، هل لك ان تسدين لولدك خدمة فأنا بحاجة اليها؟وتهش الأم المنكوبة لطلب ولدها – وإن كانت لا تعرف بعد ماهيته –.– يا أماه اريد ان تساعدينى على الهروب لألتحق بركب محمد الى الحبشة.وترتسم على وجه الأم كآبة وحزن. إن سجنه بهذه الحالة أهون عليها ان يبعد عنها الى أرض النجاشى.ولكن مصعباً لم يهدأ من تكرار الطلب عليها. ويوضح لها بأن فى هذا العمل سلامته. وأخيراً تخضع الأم لطلب عزيزها وتساعده على الهرب، والتخلص من سجن أبيه، ويلحق بقومه وتضم الصفوة الطاهرة أرض النجاشى عهداً ليس بالطويل.وتشرق شمس، وتغرب شمس، ونور الاسلام يمتد مع الأيام حتى يقوى ويشتد، وتنهار أمامه حشرجات الظلام.. وعلى ضوء الصباح تعود القافلة المسلمة، توشح طريق الإيمان بالأمل.ويعود مصعب مع من يعود، وهو فى عودته أقوى جناناً من قبل، لا يهاب سطوة قريش، ولا سخط أبيه.وعلى قارعة الطريق تقف أُم مصعب مع الواقفات يشاهدن موكب المسلمين، وهم يعودون سالمين إلى أوطانهم.. وتحاول الأم الشفيقة أن تتشبث بولدها، ولكن المسلم الجرىء يدفع أُمه برفق، ثم يرمقها بنظرات عاطفية، ويتفوه والدمعات تنتثر على وجناته، وهو يخاطب أُمه: يعز علىّ واللّه أن أمتنع من استقبال أبى وأمى، فليس لمسلم أن يطرق باب المشركين، ولو كانت دار أبيه وأمه.وتكتم الأم زفرة بين طيات صدرها وتنثنى عائدة إلى الدار فتلمح عميراً، وهو على عتبة الباب وقد تسمرت عيناه إلى وضح الطريق، ودمعة تترقرق فى مآقيه.وبين صدى النشيج المنساب، تقول الأم المحزونة: يا أبا زرارة: إن مصعباً عاد مع القافلة، ومسحة من إشراق تظلله. وهالة من إيمان تحيطه.فيقاطعها عمير، والثورة تؤز فى كيانه: اسكتى، وكأنك ملت إلى هذا الدين الجديد، أخشى أن يسمعك أحد فيصيبنا بسوء..وتلملم الوالدة الحزينة دمعة نافرة فى مآقيها ثم تنثرها

مدراراً.ولا- یمسی المساء حتی یزهد مصعب بأمره، ویترک مظاهر الرقة والدلال، ویبعد عن عینیه مظاهر النعیم والترف، فالإسلام یحارب هذه المظاهر الزائفة، ولا- بد من أن یواسی اخوانه الفقراء.ویرمقه الرسول الأعظم، وقد نزع عنه ابراد الحیاة الناعمة فیتأثر لذلک، ویدعو له بالخیر.کان مصعب لا یلبس إلا أرق حلة، ولا یتطیب إلا بأحسن طیب، ویمر الزمن وإذا به یرتدی فروة قد رفعها عن کاهله قلیلاً- لخشونتها، فیبکی محمد رقة علیه.وفی ضحوة النهار طلق مصعب دنیاه الجملیة الضاحکة وأخلص لدینه، وکان بهذه الصفات العالیة نال المکانة المرموقة عند النبی (صلی الله علیه وآله).ویقصد النبی مکة فی موسم الحج لیبلغ رسالته، ویقدم علیه وفد المدینة من الخزرج والأوس – وهم یشهدون بالتوحید ورسالته – ویطلبون منه أن یرسل معهم معلماً وموجهاً.. ویری الرسول أن مصعباً خیر من یقوم بهذه المهمة، فیقول له: – یا مصعب: أترغب فی خدمة تؤدیها للمسلمین؟.- لبیک یا رسول اللّه.- إرحل الی المدینة – وکان ذلک قبل الهجرة بقلیل – وعلم المسلمین القرآن، وفقههم فی الدین.– سمعاً وطاعة یا رسول اللّه.ویرحل مصعب مع الوفد المدنی، لیؤدی رسالته المقدسة ویبلغ ویرشد.. ویتخذ من دار أبی أمامة، أسعد بن زرارة مرکزاً له.. وتجمع حوله عدد من الذین نوَّر اللّه قلوبهم بالإیمان یعلمهم القرآن، ویفقههم فی الدین حتی صار معروفاً فی المدینة ب(المقرئ).وذات لیلة قمراء یحدث أبو أمامة ضیفه مصعباً، فیقول له: لو تری أن نخرج غداً لسعد بن معاذ، وأسید بن حضیر وهما سیدا الأوس، وتعرض علیهما الاسلام، فعسی أن یستجیبا للدعوة وفی ذلک إیمان الأوس.وفی الصباح قصد الرجلان زعیمی الأوس، ولم یبلغا مضارب الأوس، حتی بلغ خبرهما سماع سعد وأسید، فضاقا بهما ذرعاً والتفت سعد الی أسید طالباً منه أن یذهب الی الرجلین، ویطلب منهما أن یعودا من حیث أتیا، فهما لم یقصدا هذه الدیار إلا لیسفها ضعفاءنا، ویضعضعا شبابنا، ما لنا ولهم، ولولا أن سعد بن زرارة منی حیث قد علمت، کفیتک ذلک، فهو ابن خالتی ومصعب صاحب محمد ضیفه، ولا أرغب أن أکون قاسیاً معه.وتوجه أسید الیهما، وما أن وقعت عین أسعد علیه، حتی قال لمصعب: هذا سید قومه قد أقبل علیک، فاصدق اللّه فیه.قال مصعب: أرجو أن أوفق فی ذلک.ووقف أسید علیهما، وهو شاهر حربته، وقال لهما: ما جاء بکما الینا، نحن لا نرغب فی قولکما.وبکل هدوء قال له مصعب: لو تجلس فتسمع، فإن رضیت أمراً قبلته، وإن کرهته ذهبنا عنک.قال: أنصفت.. ثم رکز حربته، وجلس معهما، فکلمه مصعب بالاسلام، وقرأ علیه القرآن.یسمع أسید هذا الکلام، ویأخذ لبه، ویسیطر علی مشاعره.. وتمر به ساعة، وهو لا یعرف عن نفسه شیئاً، لقد انصهر بالحدیث، وأعجب بالآیات الکریمة، ولم یلتفت إلا- وهو یمیل إلی مصعب قائلاً: وکیف أدخل فی الاسلام.. ما أحسن هذا الکلام وأجمله، وما أعظم هذه المثل التی یتبناها دینکم.. أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً رسوله وعبده..ووثب دفعة وعاد راجعاً الی صاحبه سعد بن معاذ.. ویدخل علیه، وهو بین قومه فی مجلسهم فلما نظر الیه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف باللّه لقد جاءکم أسید بغیر الوجه الذی ذهب به من عندکم..فلما وصل أسید الی المجلس، قال له سعد: ما فعلت؟ قال: کلمت الرجلین، فواللّه ما رأیت بهما بأساً، وقد نهیتهما، فقال: نفعل ما أحببت، وقد حُدثت أن لهما معک حاجة، فلو أجبتهما.. فقام سعد لهما، ولما أقبل قال أبو أمامة لمصعب: جاءک واللّه سید من وراءه قومه، إن تبعک لم یتخلف عنک منهم اثنان.وما أن وقف علیهما حتی بادرهما بقوله: وماذا تریدان منی.. فقال له مصعب: اجلس واسمع، فإن رغبت بما قلنا وإلا ترکناک.. فجلس معهما. فتحدث له مصعب عن الاسلام وقرأ علیه القرآن.. وهما فی هذه یقول أسعد: عرفت واللّه فی وجهه الاسلام قبل أن یتکلم.. ولم ینته مصعب من حدیثه حتی نوَّر اللّه قلب سعد بن معاذ، وأسلم.وعاد الی قومه، ووقف بینهم، وهو یقول: کیف تعلمون أمری فیکم؟ قالوا: سیدنا، وأفضلنا رأیاً وأیمننا نقیبة، قال: فإن کلام رجالکم ونسائکم علی حرام حتی تؤمنوا باللّه وبرسوله..ولم یمسِ المساء علی أحیاء الأوس إلا وأسلموا، ولم تتخلف منهم إلا بیوت بقیت ولم تشمل بالهدایة..وعاد مصعب مع مضیفه أسعد الی مقامهما، وهما سعیدان فی هذه الخطوة.ومرة اخری یخاطب الرسول مصعباً: کیف تکون لو وقع أحد من أهل بیتک أسیراً فی یدیک، فهل تأخذک الرقة والعاطفة؟- یا رسول اللّه لا تأخذنی فی سبیل اللّه رقة وعاطفة، حتی ولو کان أبی أو أخی.ویعلن النبی النفیر العام بین المسلمین استعداداً لغزوة (بدر) وترحف جیوش المسلمین لتقابل جیشاً سدَّ الخافقین، ومصعب یحمل لواء المسلمین.ویلتحم الجیشان، ولم تنحسر المعرکة إلا وزرارة بن عمیر أسیر بید أخیه مصعب، والرجل کان یحمل لواء المشرکین فی

بدر.ونادى منادى المشركين أن زرارة أسير لدى المسلمين.وتهرع الجموع الى مصعب لتطلب منه صاحب لواء المشركين: إنه أخوك يـا مصعب فارفق به، ولا تعامله بالقسوة. كرامـة لأمك اطلق سـراح اخيك، ولكن هيهات فلم يسمع الحشـد من مصعب إلا السخرية والاستهزاء.. ولما لم ترَ أمه تزعزعاً عن موقفه تضطر هى لتفتدى زرارة بأربعة آلاف درهم فيضيفها لخزانة المسلمين.ويسمع الرسول بهـذا الأمر فيطبع على جبين مصعب قبلـة الرضا، ويـدعو اللّه له بالموفقيـة.وانطوت أحاديث بدر، وتحدث الناس عن غزوة (أُحد) وقد أصدر الرسول أمره بالتأهب لها، ويستعد المسلمون للزحف، وفى صباح اليوم المشهود انتظر القوم موقف النبى لمن يسلّم رايته، ولم يطل التفكير بهم فقد أعطى لواء المسلمين الى مصعب.وفى ساحـة الميدان، وقبل أن تنجلى المعركـة يخرّ مصعب صريعاً فى رهج الحرب، ويحمله الرسول الأعظم الى حيث ترك أصفيائه، يودعه بدمعـة حارة، فيها الكثير من الحزن، وفيها الكثير من الألم.وفى غنوة الضحى يسكن أريج العطر، وتخمد أضواء الفتوة فى ساحة الحرب قضى مصعب شبابه، ومسحة من جمال لم تغادر وجهه المشرق.. ورحل ولاـ يملك من دنياه إلاـ ثوباً، فكان إذا غطوا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا رجليه، برز رأسه فقال رسول الله: «اجعلوا على رجليه شيئاً من الاذفر»، وانتهت صفحة هذا الصحابى عن عمر ناهز الأربعين.

الخباب بن الأرت

ودارت الأيام، وأعقبتها أيام، وفى خلالها أحداث تطل وأحداث تطوى، ولكن مدينة الرسول لا تنسى موقفين، لهما فى أضلاعها أكثر من صرقة وعلى عينيها من أجلهما سيل من دموع تلك هما: واقعة المدينة وما رافقها من مآسى يجزع القلم من وصفها ومأساة كربلاء التى أكلت الأفكار حزناً، وأدمت القلوب تأثراً.وكان الشيخ أبو معاذ يتجنب إعادة هذين الموضوعين على أصحابه، ومستمعيه ويحاول أن يكرّس أحاديثه عن ذكريات الماضين فى عهد الرسالة الأولى.. ومهما يكن فإن السلسلة واحدة رغم تبدل أصحابها..فأبو سفيان هو الـذى أجج النار، وأشعل الحرب، وأثارها معركـة ضارية على النبى محمد، وإذا دفنه الموت، ولم يكمل مخططه فإن معاوية بعده هو البطل الأول لتنفيـذ ما رسمه أبوه من مخطط فظيع لهدم الإسلام، وتشتيت المسلمين، وكان أكثر من أبيه قوة ونفوذاً.. وإذا كانت ذرة ضرورة اقتضت – وإن كنت لا أحسب – ومنعت أبا سفيان صخر بن حرب من التوغل وراء اللاإنسانية، وازدراء الدين، فأسلم متظاهراً وإن كـان فى قلبه يضمر خلاف ذلك، فهو يقول فى موقف حاسم بين الحق والباطل تلاقفوها يا بنى أميـة تلاقف الكرة، فوالـذى يحلف به أبو سفيان ما من جنـة ولا من نار، إنما هى الـدنيا تتكالب عليها..إذا كان هـذا هو موقف الأب، ففى الولـد هـذا وزيادة، فإن معاوية جاء باسم الإسلام ليقتص من الإسلام والمسلمين، ثارات بدر وحنين – كما يقول المثل –، وهو يصرح دون خشية، وإن كان فى مركز الخلافة – يا قوم: ما حاربتكم لتصوموا، ولا لتصلوا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا، وإنما حاربتكم لأتأمر عليكم.. وفعلاً نفَّذ ما أراد، وما أملاه عليه حقـده الجاهلى.. ثم كان من بعده الحفيد يزيد، وهو مثال الباطل والسوء، فيضرب الدين عرض الحائط، وهو يصور تماماً الحقيقة عن واقعية هذا البيت نحو الدعوة الإسلامية، وموقفه العدائى من دعائم هذه الدعوة، إذ يقول: لعبت هاشم بالملك فلا

بلال بن رباح الحبشى

ونشر الليل أبراده، وانعقد مجلس الشيخ أبى معاذ، وافتتح حديثه قائلاًـ ولنا مع بلال فى هـذه الأمسية، ما نقطع به وحشة الليل، ووجومه.فلقد انتشر النبأ فى أطراف مكة أن بلال بن رباح الحبشى مولى أمية بن خلف قد أسلم، وعلم مولاه بهذا الخبر، وعظم عليه، وفكر فى أمره، وكيف يؤدبه؟ ولقد ثقل عليه أن تلوك العرب بيته، وترميه بتحدى آلهتها.وفى حمة الغضب أرسل على بلال. ومثل بلال بين يديه.ماذا يريد منى مولاى؟لقد هالنى ما يتحدث به العرب فى مكة من أن بلالاً صبا لـدين يتيم قريش أهذا حقاً؟.ووجم بلال، وطافت على سحنته سحابة حزن ماذا يقول؟أينكر الحقيقة، أم يجابه مولاه بالصراحة، وعسى اللّه أن يفتح عليه بالفرج.فصمت بلال دقائق معدودات، وكان سكوته بمثابة جواب صريح لأمية، إنه – جواب العقيدة – واضح فى معالمه وقسماته لقد ارتسم الجواب

علی وجهه جلیاً.واستشاط أمیة غضباً فصرخ بوجه بلال أتسکت وفی عینیک الجواب الصریح؟وشهر السیف فی وجهه یلوح له بالقتل، والشر یتطایر من کل جارحة فیه.ونطق بلال، وفی نطقه رنة إیمان، وصدق عزیمة وتجمل بالصبر.یا أمیة لا ترهقن نفسک آمنت برب محمد، وانخرطت فی دعوته وأنا متحمل کل ما یترتب علی ذلک.وکان هذا الجواب بمثابة قنبلة فجرها بلال فی کیان مولاه فما أن سمع منه هذه الصراحة المتناهیة حتی أخذ یزبد ویرعد ویصرخ ویتوعد، ثم نهض وهجم علی عبده ومسکه من شعر رأسه وجلد به الأرض، وهو یجره جراً.– لا بد یا بلال أن ترجع عن دعوة الاسلام، یا للعار والشنار.وبلال یقابل هذا العقاب، وقلبه کزبر الحدید، لا یهاب قسوة الوحش، ولا یلین لبطشه، ولا ینهار أمام وعیده.وبکل هدوء یخاطبه الانسان العبد المضرج بدمه: – یا أمیة لا ترهق نفسک وأنت شیخ کبیر، إن کل هذا أتحمله منک ولا أعود عما أنا قادم علیه إن دین اللّه هو الحق وان اللّه وحده لا شریک له وهو للظالمین بالمرصاد.ویغشی علی بلال من شدة التعذیب، فیترکه مولاه جثة تشخب الدماء منها، ونفَسه یکاد یجمد علی منخریه فلا یتحرک أی جزء منه إلا نبضات قلب بطیئة الدق سریعة الإیمان.وفی مجلس من مجالس قریش، وقد ضم الکثیر من سراة القوم، یقبل علی أمیة بن خلف، شیخ قد هدمته السنون لیعانقه ویطبع علی جبینه قبلة، ثم یلتفت إلی الجالسین وکأنه شعر بأن الجمع قد أکبر منه هذا الفعل.یا قوم: إن أمیة قد انتصر لآلهتنا الیوم، وردَّ کید محمد وسحره.وطافت علی وجوه الجالسین علائم الدهشة والاستغراب وتعالت الأسئلة من کل جانب عن موقف هذا الرجل الذی انتصر للات، والعزی.فسرد علیهم أمیة بطولته مع بلال، وکیف ترکه جثة أثقلتها الجراح، ویصعب علیه الحراک.وشق علی بعضهم أن یموت بلال، وهو لم یرَ من التعذیب إلا أقله، إن هذه الصفوة التی صبَت لدین محمد تشکل خطراً کلیاً علی هذه الجموع، وکان المشرکون یتفننون فی تعذیب هؤلاء المستضعفین ویصبُّون علیهم أقسی التنکیل، ومختلف العذاب. ولکن الأمر صار علی العکس، فإن هذه المظاهر العدائیة الحاقدة من المشرکین کانت تبعث المسلمین الأولین إلی التفانی فی مبدئهم وتحمل أنواع التعذیب دون التراجع عن عقیدتهم.فالإیمان بالمبدأ إذا ما ترکز فی نفس الانسان تحمل فی سبیله أی شیء، فلا یخیفه التعذیب، ولا یرهبه التنکیل، إنما العکس کل العکس فی ذلک، فقد یزداد المرء صلابة، وثباتاً، ورسوخاً فی عقیدته أمام کل هذه المظاهر العذابیة.وهذا ما نراه جلیاً فی أبطالنا الاسلامیین، أمثال بلال، فقد کان إیمانهم یزداد، وتفانیهم یتوقد کلما تحالفت قوی المشرکین علی تعذیبهم وإرهابهم، وکلما ساموهم أنواع الألم والأذی.والتفت أحد الجالسین الی أمیة بن خلف، مخاطباً: لو نرسل أحداً الی بلال فیستقصی لنا خبره هل مات، أم لا زال علی قید الحیاة؟وذهب الرسول بحمل آمال القوم فی مصیر بلال او خیبتهم ویری الرسول بلالاً ـ بعد حیاً، فیسرع یزف البشری الی أسیاده وینفحهم بالخبر کأنه کل آمالهم، ویحفزهم علیه بکل ما یستطیع من لباقة.لقد رأیته وهو مقوس الظهر فی جذوة الشمس، وشفتاه تتمتمان بشیء لم أفهمه، وتقربت منه، وأدنیت أذنی الیه، وعیناه لا تبصران من حوله فقد تجمد علیهما الدم. وسمعته یقول ویا لهول ما سمعت!!..وتصاعدت الوجوه الیه، وحملقت العیون فیه، وامتدت الألسن کأنها تلوکه، ووجم عنترة من هذا المنظر، وماتت الکلمات فی فمه.وصاح به سیده وهو یکاد یتقطع من الغیظ: ماذا بک یا عنترة ولماذا لا تتکلم؟وانطلق لسانه بعد صمت: لقد سمعته ویا لهول ما سمعت.سمعته یرتل: یا اللّه یا رب محمد، یا رب الأرضین والسموات، وحدک وحدک لا ـ شریک لک، ساعد محمداً علی دعوته، وانجه من عذاب الظالمین، وقوِّنا علی تحمُّل غضب أعدائک.. وما أن سمع عنترة ذلک حتی انعقد لسانه، وامتد الذهول الی الجالسین، ومرّت بهم لحظات کأنها السنین العجاف فی ثقلها.وأخرج أمیة القوم من ذهولهم قائلاً: – یا إخوان ما رأیکم فی هذا الحبشی أأقتله وأستریح؟؟– لا یا أمیة لا تتعجل بقتله. إن فی تأدیبه لفائدة. تفنن فی تعذیبه.– دونکم الرجل فاعملوا به ما تشاؤون.– لا نرید ان نتدخل بین العبد وسیده إنما نشیر علیک.فصاح أحدهم: ولماذا لا ـ نتولی نحن مجتمعین تعذیبه بدلاً من أمیة؟.. فالتفت الیه أحد الجالسین وهمس فی أذنه: دعه یموت علی ید صاحبه، کی لا ـ نخسر قیمته.وامتد بالجالسین الوقت حتی حانت الظهیرة، وقبل أن یتفرقوا اقترح البعض منهم ان یذهبوا مع أمیة لمشاهدة بلال فلاقی هذا الطلب من نفس أمیة کل الارتیاح، ورافق الرجل بعض من القوم حتی إذا أشرفوا علی بیوت أمیة، ألفوا بلالاً ممدوداً فی ظل جدار، مقوس الظهر من الألم.. وأشار أمیة الیه. إنه بلال.وتضاحک المشاهدون، وأکبروا بطولة أمیة وحرصه علی

حفظ مجد آلهتهم.ودارت الأيام خفافاً وتعقبها أيام، وإذا بأمية بن خلف تكون مهمته أن يخرج بلالاً كل يوم إذا حميت الشمس فى الظهيرة ليطرحه على ظهره فى رمضاء مكة، ثم يأمر بأن تحمل صخرة كبيرة عنده فتوضع على صدره، ثم يصرخ فى جلاوزته: لا ترفعوها عنه حتى يموت او يكفر بمحمد، ويحيد عن دعوة الاسلام.ويطول الانتظار بالمعذِّبين فلم يسمعوا من بلال الذى ملأ الإيمان قلبه ثقة واطمئناناً إلا هذه الآيات: (قل هو اللّه أحد، اللّه الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد).ويزداد غيظ أمية ويتضايق من عبده، وكلما حاول أن يقتحم إيمانه وصموده فيقتله، يطلب منه أصحابه أن لا يعمد على فعلته، إنما يزيد فى تعذيبه ليجعله عبرة للباقين.وهيهات فالمسلمون أخذوا بالازدياد، وأصبح لا يرهبهم العذاب، ولا يخيفهم التنكيل، وأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن يفاتح أمية بن خلف فى شرائه.وتقدم بعض الصحابة المتمكنين الى أمية، واستوهبوه من مولاه إزاء مال وفير.وأشرقت شمس الحرية على بلال، والرسول الأعظم يتعهده بعطفه وحنانه، وماذا بعد هذا فإذا هو بعد أيام مؤذن رسول اللّه، لا يفارق النبى الكريم فى حله وترحاله.وتزحف جيوش مكة على المدينة، ولم يمر على الهجرة عام ونصف عام فقد سمعت قريش أن محمداً قطع الطريق على قافلة لها عائدة من الشام بقيادة أبى سفيان، وروعهم أن يكون الغازى لمالهم وتجارتهم محمد.وعلى بئر (بدر) – وهى على مقربة من المدينة – تقابل الجيشان لم تكن النسبة متقابلة بين الطرفين، لا فى العدة، ولا فى العدد.. فقد كانت قريش بجمعها ما يعد بألف أو يزيد عليه والمسلمون لم يتجاوزوا الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ويتقدم جيش المسلمين على بن أبى طالب، وسعد بن معاذ، يحمل الأول راية المهاجرين والثانى راية الأنصار.والتقى الجمعان فى معركة ضارية، تساقط فيها الأبطال من قريش، وتناثرت قوتهم، ودب الذعر فيهم، بحيث لم يبصروا طريقهم من الخوف والهلع. وانتصر المسلمون فى المعركة..وتوزع المسلمون فى الميدان يتعرفون على القتلى، وينقذون الجرحى ويمر عبد الرحمن بن عوف يحمل ما سلبه من القوم فى طريقه إلى مضارب المسلمين إذ برجلين يلوذان بالقتلى، كى لا يبصر بهما أحد. ويرتفع نداء متقطع أثقله الهم، وأتعبه الجزع. يا عبد الرحمن، ويلتفت الرجل إلى مصدر الصوت فيلمح الرجلين ويقصدهما، ولما دنا منهما عرفهما: أمية بن خلف، وولده على بن أمية – وكانت بينهما صداقة فى الجاهلية – قال له أمية: هل لك فىَّ، فأنا خير لك من هذه الأنواع التى معك – وكانت بيده أدرع سلبها – قال: نعم، قال: نحن فى حمايتك. فطرح ابن العوف الأدرع وأخذ بيد أمية وابنه، ومشينا، وأمية يقول: ما رأيت كاليوم قط.واسترد أنفاسه، ومسح عينيه من الغبار الذى علق بهما وجال بنظراته الشاردة الى المعركة، ثم التفت إلىّ وقال: من الرجل منكم المُعلم بريشة نعامة فى صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل.وهما بهذا الحديث، ووجهتهما مضارب المسلمين، إذ لمحوا بلالاً مقبلاً فاضطرب امية بن خلف، وبانت الصفرة على وجهه. هذا بلال الذى كان بالأمس يعذبه، فيلح فى تعذيبه، ويقسو عليه فيتمادى فى قسوته. وماذا سيكون مصيره معه الآن، ويعود فيُطَمئن نفسه أنه مع عبد الرحمن بن عوف شخصية له مكانة بين المسلمين فسيدفع عنه الموت.ويقترب بلال من المقبلين، ويعرف أمية بن حلف وابنه فيصيح فى وجهه: رأس الكفر امية بن خلف، لا نجوتُ إن نجوتَ، فيقول له ابن عوف: يا بلال انه أسيرى، وحميته، قال بلال: لا نجوتُ ان نجوتَ. فاحتد عبد الرحمن، وصاح ببلال: أتسمع يا ابن السوداء أنهما فى حمايتى، فلم يهتم لحديثه بلال بل صاح: يا أنصار اللّه، هذا رأس الكفر امية بن خلف. أنسيت أيها الظالم ما كنت تعمله بنا. كنت الى الرمضاء اذا حميت، فتضجعنى على ظهرى، ثم تأمر أن توضع الصخرة العظيمة على صدرى، ثم تقول: هكذا تبقى، حتى تفارق دين محمد.. نسيت هذا يا ظالم، ولذت بابن عوف لينجيك من الموت. لا نجوتُ ان نجوتَ، وأحاط وجماعته بالأسيرين، يقول ابن عوف: وجعلونا فى حلقة كالسوار، وأحدقوا بنا وأنا أذب عنهما، وأدفع وأصيح بهم احفظوا من حميتهم، ولكن دون جدوى.فقد ضرب أحدهم بالسيف علياً فوقعت على رجله، فوقع مضرجاً، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، قال ابن عوف فالتفتُ إلى أمية وقلت له: أنج بنفسك، فواللّه ما أغنى عنك شيئاً، ولكن الرجل ما كان يود مفارقة ابنه وهو يصارع الموت ولم تمض لحظة، حتى رأيت بلالاً يتهوى عليهما بالسيف، ويتناوبه اخوان من كل جانب، حتى قطعوهما، وأنا لا أملك شيئاً، وأمام النبى (صلى الله عليه وآله) وقف ابن عوف يقول: يرحم اللّه بلالاً ذهبت أدراعى، وفجعنى بأسيرى.ويرمق النبى بلالاً، وهو يرفع يديه إلى السماء ويقول: (الحمد اللّه الذى ساعد

بلالاً على أخذ الثار ممن عذبه).وبقى بلال مجاهداً مع النبى فى حروبه وغزواته.. وبعد أن لبى الرسول نداء ربه، انتقل بلال الى الشام، وبقى فيها حتى فارقت روحه الطيبة بدنه.وهكذا سجل التاريخ صفحة عن بلال تزهو بالمجد والبطولة الإنسان الذى تحمل فى سبيل عقيدته أنواع العذاب والأذى، حتى ازدهر الإسلام، وقويت كلمته، واندحر أعداء اللّه.

المقداد بن الأسود

وأقبل الشيخ أبو معاذ فى هذه الليلة، وهو يحمل لأصحابه حديث (بدر)، وبدأ حديثه بصوته الهادئ الرزين، وأسلوبه الجميل الجذاب، يشدّ المستمعين اليه، قال: أيها المسلمون: (هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا اليها لعل اللّه ينفلكموها).وبهذه الفقرة القصيرة، استنفر رسول اللّه الناس على أبى سفيان – زعيم المشركين – وهو عائد بتجارته من الشام.فقد كفى ما عاناه المسلمون من قريش، وعنتها وبغيها وظلمها. ولماذا يبقى المسلمون فى تلكؤ، وقد أصبحت من القوة بما يمكنها من مقابلة المشركين، بعد أن ذاقوا منهم الويلات واضطروا الى هجر مكة، والإقامة بالمدينة.والرسول الأعظم لم يقم بعمل سلبى تجاه قريش وأحقادها – طيلة هذه المدة – إلا لأنه لم يلمس فى أصحابه العدة والعددلمقابلة القوم فكان موقفه الدفاع. أما وقد رأى فيهم بعض الإمكانية، فلماذا لا يحرك النفوس، ويمرنهم للهجوم.وكانت خير مناسبة هى اعتراض قافلة أبى سفيان، وهى بتجارة قريش تؤوب من الشام، اشترك فيها أهل مكة جميعهم بحيث لم يبق رجل ولا امرأة استطاعوا أن يسهموا فى هذه القافلة إلا فعلوا، حتى قدرت بخمسين ألف دينار.ولهذا فقد خف الكثير من المسلمين عند أمر النبى لهم بنهب القافلة كما تثاقل جماعة عن الخروج تحسباً للمشاكل التى تستتبعها.يا أبا الحارث: أسمعت نداء الرسول، وهل أنت ملبيه؟.نعم يا أبا معبد.جزاك اللّه خيراً يا أبا الحارث.وكان المقداد بن عمرو البهرانى، والمقداد بن الأسود، أبو عبد اللّه، يهمه كثيراً أمر صاحبه أبى الحارث عتبة غزوان، فقد كانا مسلمين يتكتمان بإسلامهما فى مكة، ولم يتمكنا من التظاهر فى الهجرة مع المهاجرين، وبقيا ينتظران الفرصة المناسبة..وأعلن المشركون أن جيشاً بقيادة (عكرمة بن أبى جهل) يتوجه لغزو محمد، وفى عشية اليوم يزحف القوم.. وقصد عتبة صاحبه المقداد.يا أبا معبد، مناسبة رائعة لو نخرج معهم، وعندما نصل إلى جيش المسلمين ننحاز لهم.نعم الرأى ما تقول.. وانضما إلى الجيش الزاحف. وبلغ الرسول الأعظم نبأ هذا الزحف، فأرسل سرية من المسلمين يتراوح عددها بين الستين، والثمانين نفراً وكلهم من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد، وأمر عليهم عبيد بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف.وسار المسلمون حتى بلغوا ماء فى (أسفل ثنية المرة)، ولم تقع بينهما حرب إذ انتهت باتفاق، وانصرف المشركون عائدين إلى مكة..وكانت اللحظة الحاسمة بالنسبة للمقداد وعتبة، فلم يكد ينشغل جيش العدو بأمر عودته، حتى فرَّ المقداد وصاحبه إلى المسلمين.واستقبلهما المسلمون بكل ترحاب، وعند عودتهم إلى المدينة رحب الرسول بالمقداد فقد كان من أصحابه الأوائل.واستمر المقداد بصلته، فلم يكن جديد عهد بالإسلام فهو سابع رجل آمن بالدعوة، وكان يروى الرسول أن اللّه أمر بحب أربعة: على وسلمان وأبى ذر والمقداد، ولهذا عندما وصل إلى المدينة، كان أحد المقربين إلى رسول اللّه، والملازمين له.وكان المقداد متحمساً – بعد أن وصل الى المدينة – لنهب قافلة قريش، وخاصة أن الرسول (صلى الله عليه وآله) يريد ذلك.. ولم يخف على أبى سفيان، وهو فى طريقه الى مكة، أن رسول اللّه استنصر أصحابه على قافلته، فأرسل رسولاً عاجلاً الى قريش يوقفهم على النبأ، وعلمه كيف يثيرهم.ودخل الرسول مكة، وقد قطع أذنى بعيره، وجدع أنفه وحول رحله، ووقف هو عليه، وقد شق قميصه من قُبل ودُبر وهو يصيح: يا معشر قريش! اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان وقد عرض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها. الغوث الغوث.وهزّ هذا الصياح أرجاء مكة، ووقف الناس كلهم على أهبة الاستعداد، لا بغضاً بمحمد، ولا حباً لأبى سفيان، إنما لكل منهم نصيب فى هذه العير.وهذا لم يمنع أبا جهل، وعقبة بن أبى معيط أن يأتيا الى المسجد وبيد عقبة مجمرة فيها بخور، وبيد أبى جهل مكحلة ومرود، وهما يتنقلان بين المتقاعسين من الخروج لنصرة عير ابى سفيان، يقولان له: استجمر فإنما انت من النساء، او اكتحل فإنما انت امرأة..وتحشدت قريش استعداداً للزحف، ودار فى كل بيت حديث لهم. انها المرة الاولى، فلو تم لمحمد ما اراد لم تبق

لقريش مهابة بعدها.ان قريشاً وغير قريش من الـذين ضاقوا ذرعاً بهذه الدعوة الفتية، كانوا يخشون هذا اليوم، الذى كانوا يحسبون له كل الحساب.فهذا محمد الذى تحدثوا عن دعوته كلما جال على لسانهم من بذىء القول وخشن الكلام، وصبّوا على أتباعه وأصحابه كلما فى طاقتهم من التعـذيب، والتعسف، وإذا بالأيام تدور، وتصبح له القابلية على مقابلتها، فيعتزم مهاجمة عيرها.وتصل اخبار قريش الى الرسـول تباعـاً، وهـو بالمدينـة يتـأهب للخروج، ويجمـع اصـحابه فى رحبـة المسـجد، ليخبرهـم بتصـميمه على الغزو، ويطلب رأى المهاجرين، وإذ ضعُفت نفوس وتخوفت اخرى بعد ان بلغهم ان قريشاً زحفت بصناديدها وقف المقداد وسط الجمع بكل جرأة يقول: يا رسول اللّه، إمض لما امرك اللّه فنحن معك، واللّه لا نقول لك، كما قالت بنو اسرائيل لموسى: (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعـدون)، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الـذى بعثك بالحق لو سـرت بنا الى برك الغماد [۸] لجالدنا معك، وقاتلنا من بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك وعن شـمالك.فقال له رسول اللّه (صـلى الله عليه وآله) خيراً ودعا له، وأشرق وجهه وسرَّه، وأعجبه.قال ابن مسعـود: تمنيت هـذا الموقف من المقـداد أن يكون لى هو أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشـمس.ثم التفت النبى للأنصـار، وقـال: أشـيروا علىَّ أيهـا النـاس.قال له سـعد بن معاذ: واللّه لكأنك تريـدنا يا رسول اللّه.قال النبى: أجل.قال: فقـد آمنا بك، وصـدقناك، وشـهدنا أن مـا جئت به هو الحق، وأعطينـاك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السـمع والطاعـة، فامضِ يا رسول اللّه لما أردت، فنحن معك، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضـته لخضـناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عـدونا غداً إنا لصُبر فى الحرب، صُدق فى اللقاء، لعل اللّه يريك منا ما تقرَّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة اللّه.وما أن أتمّ سعد كلامه حتى هلهلت امرأة من الطرف الآخر وهى تقول: مرحباً بك يا سيدنا لا فضَّ اللّه فاك.والتفت القوم كلهم اليها، وبـدت عليهم الفرحـة، هذه هى النساء والرجال تشدُّ أزر رسولها فى عزيمته، والبشـرى تطفح على وجوههم، والإيمان يقوى نفوسـهم، ويدور همس بين القوم من المستبشـرة؟ إنها (ام عمارة) يا رسول اللّه، ومعها لمة من نساء الأنصار يعرضن أنفسهن للنصرة.جزاهن اللّه خيراً فليرجعن الى أخبيتهن، ففى الرجال الكفايـة.لقـد انـدفع أصـحاب النبى الى الاسـتعداد، فقد بلغ الأمر أن يتنازع الأب والابن على الخروج، يقول القائلون: تنازع سـعد بن خيثمة مع أبيه أيهما يبقى مع النساء، فقال سـعد لأبيه: إنه لو كان غير الجنة آثرتك به، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا، فقال خيثمة: آثرنى وقرّ مع نسائك، فأبى سـعد، فقال خيثمة: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم فاسهما، فخرج سهم سعد، فقتل ببـدر.ويتحـدث المتحـدثون – أيضاً –: ان عمير بن ابى وقاص كان صغيراً، فأخذ يتوارى عندما استعرض رسول اللّه أصـحابه فقيل له لماذا تعمل هكـذا يا عمير؟ فقال: أخاف أن يرانى رسول اللّه (صـلى الله عليه و آله) فيستصـغرنى، فيردنى، وأنا احب الخروج، لعل اللّه يرزقنى الشـهادة. فعرض على رسول اللّه (صـلى الله عليه و آله) فاستصـغره فقال له: ارجع، فبكى عمير، فأجازه. وكان يقصـر له حمائل سيفه لصـغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشـرة سنة.وأعلن الرسول ساعة الرحيل فى صباح لم تشرق فيه الشمس بعد من أيام رمضان فى السـنة الثانيـة للهجرة، وعـددهم لم يتجاوز الثلاثمائة وخمسة أشـخاص.قد ملكوا من الإبل سـبعين بعيراً، وكانوا يتعاقبونها، حتى رسول اللّه، فقـد أردف خلفه على بن ابى طالب، وزيد بن حارثة وذكر ان المقداد كان فارساً.وكانت راية المهاجرين بيد على بن ابى طالب، ورايـة الأنصار – من الأوس والخزرج – مع سـعد بن معاذ.وبعـد قليل صاح رسول اللّه بأعلى صوته: (سـيروا وأبشـروا فإن اللّه تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين واللّه لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم).وعلى جانبى الطريق وقفت نساء المهاجرين والأنصار يودعن الركب الراحل بقلوب مفعمـة بالإيمان والإجلال، وزغردات تبشر بالنصـر والمجـد.ولم تمضِ أيام حتى تقابل الطرفان يسـتقبلان الحرب ورفع رسول اللّه يـديه إلى السـماء قائلاًـ (اللهم إنـك أنزلت علىَّ الكتـاب، وأمرتنى بالقتـال، ووعـدتنى إحـدى الطـائفتين وأنت لاـ تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تخاذل وتكذب رسولك. اللهم نصـرك الذى وعدتنى به).ودارت رحى الحرب سجالاًـ يجول إمام المسلمين على بن أبى طالب، وحمزة بن عبـد المطلب وغيرهما من أبطال المسـلمين الأشاوس يكشـفون الغبرة عن وجه المسـلمين، ويجندلون الأبطال من المشركين، وكانوا يكرون على الأعداء وعلى يصيح، وهو يضرب بطلاً من أبطالهم، خذها وأنا ابن أبى طالب، فيجيبه حمزة، وهو يشد على الفارس منهم ويجندله، ويصيح: خذها وأنا ابن عبد المطلب، وهكذا بقية المغاوير.وما هى

إلا فترة من الزمن حتى وضعت الحرب أوزارها وانتصر المسلمون ولاقى من المشركین حتفه كل من أبی جهل وأمیة بن خلف، وعتبة وشیبة والولید بن عتبة، وغیرهم من قادة المشركین.وانهزمت قریش شر هزیمة، حتى نقل عن عبد اللّه بن عمرو بن أمیة قال: أخبرنی من انكشف من قریش یومئذ منهزماً وإنه لیقول فی نفسه: ما رأیت مثل هـذا فر منه إلا النساء.وقال آخر: شهدت مع المشركین بدراً، وانی لأنظر إلى قلة أصحاب محمد فی عینی، وكثرة من معنا من الخیل والرّجل فانهزمت فیمن انهزم فلقد رأیتنی، وإنی لأنظر إلى المشركین فی كل وجه، وانی لأقول فی نفسی ما رأیت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء..وطوت المعركة أنفاس عتبة، وشیبة، والولید بن عتبة وأبی جهل، وأمیة بن خلف وأمثال هؤلاء الطواغیت، ولكن أبا سفیان لم یخمد، وهو رأس الفتنة، وزعیمهم.وجنَّ اللیل، وقد هدأت الأنفاس المتعبة من ثقل الحرب وهوَّمت العیون، التی أرهقت من یوم عسیر الحركة، دامی الوجه.. فخرج رسول اللّه، ومن خلفه من اصحابه یحرسونه منهم علی، والمقداد، ووقف على البئر – الذی أمر فطرح به جثث المشركین – وقال: (یا اهل القلیب، یا عُتبة بن ربیعة، ویا شیبة بن ربیعة ویا امیة بن خلف، ویا ابا جهل، – ثم أتى بأسماء بعض من كان منهم فی القلیب –: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإنی قد وجدت ما وعدنی ربی حقاً.. یا اهل القلیب، بئس عشیرة النبی كنتم لنبیكم، كذبتمونی، وصدقنی الناس، وأخرجتمونی وآوانی الناس، وقاتلتمونی ونصرنی الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإنی قد وجدت ما وعدنی ربی حقاً؟).فقال المسلمون: یا رسول اللّه، أتنادی قوماً قد أجیفوا قال: (ما أنتم بأسمع لما اقول منهم، ولكنهم لا یستطیعون ان یجیبونی).وعاد المسلمون الى المدینة والنصر یرفرف علیهم، ولكن الأیام لم تدع المسلمین فی راحة. فقریش لم تنم على ضیم، وبقیت تلاحق النبی كلما ساعدتها ظروفها من غزوة الى اخرى، والمقداد الذی اخلص لنبیه، وآمن بدعوته، كان لساناً صادقاً له، وسیفاً مخلصاً فی وجه أعدائه، لم تمنعه مانعة عن مصاحبة نبیه فی غزواته ولا تقاعس عن نصرته لحظة ما.وآخى الرسول (صلى الله علیه و آله) بین المقداد، وبین عبد اللّه بن رواحة وقیل بینه وبین ابی ذر الغفاری..وكان موقفه المشرف یتجلى مع علی بن ابی طالب بعد وفاة الرسول، فقد وفى له، یخوض غمار الموت دونه، ویدفع عنه الأخطار ما استطاع، وشهد فتح مصر ولم یتخلف عن واجبه الدینی، فهو جندی فی ساحة المیدان، وموجّه فی مضمار الدعوة وأمین على الدعوة یوم تزعزع الناس.رحم اللّه المقداد، فقد كان من الفضلاء النجباء، الكبار الأخیار من اصحاب النبی (صلى الله علیه و آله) وممن رعاهم بعنایته، حتى روی عنه انه قال أكثر من مرة: (أمرنی ربی بحب اربعة، وأخبرنی انه سبحانه یحبهم وهم: علی، وابو ذر، والمقداد، وسلمان).وفی عام ۳۳ لبى نداء ربه فی ارضه بالجرف، وحمل الى المدینة فدفن بها وكان ابن سبعین.وإذا مرَّت هذه السنین الطوال على وفاة المقداد، فله فی أفكار المسلمین ذكرى عطرة، وصفحة مشرقة تمتد مع الأیام وشروق الاسلام.

ابورافع

أسمعت أحادیث مكة وشعابها، یجتاح شیوخها، ویمرّ بكهولها، ذلك حدیث فتى عبد المطلب، ودعوته الجدیدة.حدیث شیق یا أبا مناف، ینساب إلى قلبی انسیاب العطر.– كفى. كفى یا ولید. أفیك قوى لتحمل سوط قریش ومكاویهم الحدیدیة. اسكت بحق صاحب هذا البیت. هذا الشیخ أقبل علینا، وأخشى أن یكون أحد من القوم فیصیبنا بسوء.وأقبل الشیخ یقترب رویداً رویداً حتى إذا وضح لهما فإذا به (أبو رافع مولى العباس بن عبد المطلب) وقد عَلَت ثغره الأسود ابتسامة مشرقة، وانضم إلى صاحبیه.كیف أنت یا أبا رافع الیوم، أذهبتَ إلى دار الأرقم، أسمعت من حدیث الرسول محمد (صلى الله علیه و آله) أعذبه وأنداه.لو أتیت هذه اللیلة معنا یا أبا مناف لرأیت من عطف نبی الرحمة الشیء الكثیر.وظهر على القوم دفعة أمیة بن خلف، وقد علته موجة من السخط والكراهیة، ومر بهذه الحلقة، ویكاد لا یلتفت لها، وخیم الوجوم على الجالسین، ولكن ما ان اجتاز الثلاثة بخطوات حتى عاد وألقى نظرة علیهم، وما إن وقعت على أبی رافع، حتى هجم علیه والشرر یتطایر من عینیه، وأخذ یلعب بسوطه على جسمه دون رحمة وشفقة، وأبو رافع یتلوى بین یدیه، وإذا ما كلت یداه من الضرب، وقف وهو یسحب أنفاساً مهترئة، وهی تكاد تلفح وجهه بلهیبها.والتفت الیه وهو یهذر بصخب: لو

عـدت لـدار الأرقم لکویتک بالحدیـد.وزحف ابو رافع وهو یجمع قواه یئن من آلامه لیذهب تواً الی بیته، وعیناه قد شدت الی الکعبة، وهو یتمتم کلمات تکاد تموت علی شفتیه لانهیار قواه.کان ابو رافع یجتمع فی بادئ امره بإخوان له من موالی العرب، وکانت احادیث دعوة محمد تلهج بها أندیة مکة وحلقات سـمرها. وابو رافع یستمع لها بشیء من الاهتمام، وکلما تعرف علی جدید من تلک الأخبار، خفق لهـا قلبه، ونبض صـدره، غیر انه لاـ یعرف سـر هـذا الخفقـان، وتلـک النبضـات المتوالیـة، وبمرور الزمن انحاز الی اخبار الـدعوة الجدیدة، وتتبع احادیثها، بکل شوق ولهفة وحتی اصبح یوماً ما من جملة أعضائها.ولکن ابا رافع ما کان فی امکانه – وفی وقته المبکر – ان یجهر بأمره، وان کان فی الواقع فی منعة من ظلم قریش، لأنه مولی العباس بن عبد المطلب، وللعباس حرمة ومکانة.وبطبیعة الحال کانت قریش تستأثر بحدیث الرسول بالقسط الأوفر، من یومها، لأن الأمر کان یتعلق بهم قبل کل قبیلة فهو ان جلس الی فتیان اسیاده، کان یلتهم احادیثهم عن الدعوة وان کان بعضهم لم یمل الیها، أو لم یعلن إسلامه بعد.حتی کان یوم تحدثت مکة بصراحة عن إسلام العبـاس نفسه فطـار ابو رافع فرحـاً بهـذه البشـارة، وأزاح عن کاهله ثقلاً کبیراً ثقل الکتمان والتستر.وعرف الناس بعدئـذ ان ابا رافع من جملـة الـذین انضـموا الی دعوة محمـد رسول اللّه، ودخـل یومهـا ابو جهـل الی البیت وهو یحرق الارم، والتقی بزمرته وصاح بغضب متناهی حتی أبی رافع ذلک المولی القبطی صبا لدین فتی عبد اللّه، وحق اللات والعزی ان ظفرت به لأترکه طعمة للوحوش، وأشفی بـدمه غلیلی. ولکن رجلاًـ من القوم التفت الیه وقـال: مهلاًـ یـا أبا الحکم لا تظهر قواک علی الموالی والضـعفاء، أما علمت أن العباس نفسه قد تبع محمداً، فلو کنت شجاعاً لذهبت الیه، وترکت جسمه طعمة للوحوش، کما نویت أن تعمله مع ابی رافع؟.وسکت ابو جهل علی مضـض، وفی قلبه شـعلة من حقد، لقد ضاق ذرعاً بما یطوی علیه نفسه، وقد أخذ امر المسـلمین یشیـع وینتشر، ویتلقاه الناس بکل مسرة واستبشار، ویستقبلون کل یوم اسماً جدیداً ینداح لحوزة النبی کما ینداح العطر فی الروضة الغناء، فتلهج أندیة مکة بحدیثه، حتی اذا ما أطل اسم جدیـد لهجت بـذکره، ولاکت حـدیثه، والناس تواقة لکل جدیـد وهکـذا دوالیک.وتحـدث العرب عن اسم أبی رافع کشـخص جدیـد لمع اسـمه ثم حرره الرسول بشارة لإسـلام العباس، واستطال الحـدیث الی ان هذه الدعوة تحاول تحریر الرق وترک هذه العادة السقیمة وهذا ما یثیر الرعب فی قلوب الکثیرین، وتکون لأبی رافع مکانة لدی الصفوة الطیبة من المسلمین، وکیف لا تکون کـذلک والرسول الأـعظم یعطف علیه لأنه من هـذه المجموعـة المستضـعفَة التی اکتوت بعـذاب قریش وهی تزداد صـلابة کلما تفنن الکـافر الأـرعن فی أسالیب التعـذیب والإبادة معهم.فأمس تحـدثت مکـة عن اسلوب الطغاة فی معاقبـة یاسـر وعمار وأمه، وبعـد برهة تحـدثت عن تعـذیب بلال والخباب، ولقد کانت مکاوی الحدید المجمرة تلمع فی أیدی ابی جهل وجلاوزته وهی تترنح علی أجسام هؤلاـء المستضـعفین الـذین صبوا الی دعـوة الرسول، فلم ترقّ لهم قلـوب ولم تلِنْ لهـم نفوس.وهـاجر النبی الی المدینـة، تارکـاً مکة وقریش وحقدها وضغنها، ولم تمر الأشـهر علی الطغاة بالشـروق والأمل، فقد عزَّ علیهم، أن یسلم محمد وأصحابه، ویتوطد أمر دعوته فی یثرب وکـانت تتحین المناسـبة للهجوم علیه، حتی کـانت (بـدر).وکـان اجتماعهم فی دار النـدوة عاجلاً للبتّ فی طلب ابی سـفیان وقرروا الاسـتجابة للطلب وکـان من بـدر مـا کـان.وبقی فی مکـة من بقی یتصید الأخبار، ویتعرف علی المسافرین، علّهم یحملون من أخبار قریش ما یسعد یومهم وینیر لیلهم.. وعاشت مکة ردحاً من الزمن علی أعصابها لم یبلغها قدوم أحد، إلا وهرعت الیه.. وانقطعت الأخبـار وکادت القلوب المتلهفـة لسـماع نبأ جیشـها تتقطع.. طال الانتظار ودبَّ القلق، وانسابت الوساوس الی الأذهان تحرک المشاعر وتثیر العواطف، ولحظـة الانتظار أشـد ما یعانیها الانسان.یحـدثنا أبو رافع مولی رسول اللّه، فیقول: کنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وکان الإسلام قد فشی فینا أهل البیت، فأسلم العباس، وأسلمت أمُّ الفضل زوجته وکان العباس یهاب قومه، ویکره خلافهم فکان یکتم إسـلامه وکـان ذا مـال کثیر متفرق فی قومه، وکـان عـدو اللّه أبو لهب قـد تخلف عن بـدر، وبعث مکـانه العـاص بن هشام بن المغیرة وکـذلک کـانوا صـنعوا، لم یتخلف رجـل إلاـ بعث مکـانه رجلاًـ.فلما جاء الخبر عن مصاب أصـحاب بـدر من قریش، کبته (ذله) اللّه وأخزاه، ووجدنا فی أنفسنا قوة وعزاً.قال: وکنت رجلاً ضـعیفاً، وکنت أعمل القدَاح، أنحتها فی حُجرة زمزم، فواللّه إنی لجالس أنحت أقداحی، وعنـدی أم الفضل جالسـة، وقـد سرنا مـا جاءنـا من الخبر، إذ أقبـل الفاسق أبو لهب بجر رجلیه بشرّ، حتی جلس إلی طنب

الحجرة، فكان ظهره إلى ظهرى فبينا هو جالس إذ قال للناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم – وكان شهد مع المشركين بدراً –، فقال أبو لهب: هلم يا ابن أخى فعندك والله الخبر قال: فجلس اليه، والناس قيام حوله، فقال: يا ابن أخى، أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شىء، والله ان هو إلا لقيناهم فمنحناهم أكتافنا، فقتلونا كيف شاؤوا، وأسرونا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس۷ لقينا رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، لا والله ما تبقى شيئاً، ولا يقوم لها شىء.قال ابو رافع: فرفعت طنب الحجرة، ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده، فضرب بها وجهى ضربة شديدة، ثم احتملنى فضرب بى الارض، ثم برك علىَّ يضربنى وكنت رجلاً ضعيفاً. فقامت ام الفضل الى عمود من عُمد الحجرة فأخذته فضربته على رأسه، فشجته شجة منكرة، وقالت: استضعفته إذ غاب سيده، فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليالى، حتى رماه الله بالعدسة [۹] فقتله.هكذا تلقى القرشيون خبر الهزيمة وخسران المعركة.ويقف ابو سفيان وهو مشدوه بما أصيب من نكبة، يصيح والحقد يغلى فى صدره: يا معشر قريش، لا تبكوا على قتلاكم ولا تنح عليهم نائحة، ولا يندبهم شاعر، وأظهروا الجلد والعزاء فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فأكلّكم ذلك من عداوة محمد وأصحابه، مع أن محمداً إن بلغه وأصحابه ذلك شمتوا بكم فتكون أعظم المصيبتين ولعلكم تدركون ثأركم، فالدهن، والنساء علىّ حرام حتى أغزو محمداً.وإذ كان ابو سفيان يتنقل فى بيوتات قريش، وهو مخذول مهزوم يطلب منهم الجلد والصبر، كانت زوجته هند بنت عتبة من جانب آخر تقول لنساء قريش ذهبن لتعزيتها فقلن لها، ألا تبكين على أبيك وأخيك، وعمك، وأهل بيتك، فقالت: حلأنى (منعنى) أن أبكيهم، فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا وبنساء بنى الخزرج، لا والله حتى أثأر محمداً وأصحابه. والدهن علىّ حرام ان دخل رأسى حتى نغزو محمداً، والله لو أعلم الحزن يذهب عن قلبى لبكيت، ولكن بما لا يذهبه إلا أن أرى ثأرى بعينى من قتلة الأحبة، تقول الرواية: فمكثت على حالها لا تقرب الدهن، ولا قربت فراش ابى سفيان من يوم حلفت حتى كانت وقعة أُحد.لقد أخلص ابو رافع للنبى الأكرم، حتى أصبح جزءاً من صفوته، فى ركابه بغزواته، وموكلاً على ثقله، وأميناً على ماله فقد قال رسول الله يوماً، وهو فى جموع حاشدة بين يديه: (يا أيها الناس، من أحبَّ أن ينظر الى أمينى على نفسى وأهلى، فهذا ابو رافع أمينى على نفسى).وكان هذا أرفع وسام يقلده رسول الله، وأعظم فخر يناله بشرف الاسلام.ودخل ذات مرة ابو رافع دار النبى، فوجد رسول الله نائماً، وعلى مقربة منه ثعبان عظيم يزحف باتجاه الرسول، وذهل الرجل الشيخ من هذا الأمر، وحاول ان يوقظ النبى (صلى الله عليه وآله) ولكنه عز عليه ان يقلق على الرسول نومه، وصمم على التضحية وتقدم فاضطجع الى جنب النبى باتجاه الثعبان بحيث فصل بينهما ليكون هو ضحية إذا قدم على الزحف، وكان هذا أعذب ما يدور فى خاطره.واستيقظ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فألفى أبا رافع الى جانبه مستلقياً، وعلى بضعة أمتار يقف ثعبان، وعرف جلية الأمر ورفع الرسول طرفاً خاشعاً الى السماء ليدعو الله ان يوفق أبا رافع.وتمر الأيام ثقيلة السير، مليئة بالأحداث، قد لبى الرسول الأعظم نداء ربه، والزمن يطوى خطواته، وأبو رافع قد استقر فى خيبر يزرع أرضاً له هناك.وأعلن الإمام على (ع) حربه – على معاوية، وفى الشدة تعرف الرجال – وأخذ يجمع أصحابه من حوله ما يقتضيه لتلك الحرب.وانتشر النبأ يسرى كالبرق فى أرجاء الجزيرة العربية أن علياً عزم على قتال معاوية، وعلم ابو رافع بجلية الأمر كما سمع غيره.وعندما أصبح الصباح أعلن ابو رافع بأنه عازم على السفر الى على (ع).– يا أبا رافع أنت شيخ طاعن فى السن أخذت من العقد التاسع نصفه، وقد سقط التكليف عن الشيوخ، فالجهاد لغيرك.– لا تتحدث بمثل هذا أبداً، إن القتال مع على عبادة، لقد أصبحت لا احد بمنزلتى، بايعت البيعتين: بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، وصليت القبلتين وهاجرت الهجرات الثلاث: مع جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة، ومع رسول الله (ص) إلى المدينة ومع على بن أبى طالب سأهاجر إلى الكوفة.يا أبا رافع: وأرضك ودارك.– غداً سأبيعها.وكان ما أراد، وقف إلى جانب على فى حروبه مجاهداً صابراً ومعاوية لم يتوان عن إغراء أبى رافع بالمال، والمكانة، والسلطان ولكن صلابة هذا الصحابى الجليل، وصموده الحديدى العجيب فى خدمة الإسلام، كانا أقوى من أن تنهار أمام أموال معاوية ومواعيده المعسولة.

جعفر بن ابيطالب

كان الشیخ ابو معاذ مرهقاً فی لیلته هذه، أثقله یوم متعب هدَّ من جسمه وأوغل فی إیلامه، ورغم هذا فقد جاء الی مجلسه كعادته.. ولمس الجمیع علیه بوادر العاصفة الثقیلة علی وجه محدثهم.وقال الشیخ ابو معاذ، وهو یجاهد نفسه مجاهدة علی الكلام: كانت لیلة قاسیة جداً علی أبی طالب، وهو یرقب عودة ابن أخیه، وقد مرَّ شطر كبیر من اللیل ولم یعد. نصف اللیل انقضی، ومحمد لم یظهر له أی أثر، ومعه علی، ولكن أبا طالب وزوجته لم یهمهما أمر ولدهما علی بقدر ما یهمهما أمر محمد.. وكیف لا یفكر فی أمره، وقریش تتحین له الفرص لتُنزلِ به السوء، فقد توسمت فیه خطراً مقبلًا علیها.ومرّ الثلث الثانی من اللیل، ولم یعد محمد، وأقلق الشیخ الوقور هذا الغیاب ولا ـ یرید أن یعلن الخبر، وأخذ یسأل عنه هنا وهناك كالملهوف، لم یتمكن من الهدوء أمر ولده جعفر أن یأخذ سلاحه، ویخرج معه، وبدآ البحث. وطلع علیهما الفجر وهما فی بعض جبال مكة، وإذا بمحمد فی أعلاه، واقف وعلی یمینه علی یصلیان، یركعان ویسجدان.ودبّت الطمأنینة إلی قلب الرجل الحنون، وهدأت أعصابه واستردّ أنفاسه، وجلس وهو یشد نظراته إلی هذا المنظر، ثم لم یلبث أن أخذ ید ولده جعفر وجعله إلی یسار النبی، وقال له: «صل جناح ابن عمك»، وانساب الفتی الیافع مع ابن عمه وأخیه یركع ویسجد، حتی أكملوا جمیعاً صلاتهم، وعادوا إلی شیخ الهاشمیین، والسرور یطفح علی وجوههم، وهزَّ السرور والاعتزاز الرجل الوقور، فأخذ ینشد:إن علــــــیاً وجعفراً ثقــتی عند ملم الزمـــان والـنوبلا تخذلا، وانصرا ابن عمكما أخی لأمی من بینهم وأبیواللّه لا ـ أخـــذل النـــبی ولا یخذله من بنـــی ذو حـــسبثم التفت محمد إلی جعفر وهو یقول:(یا جعفر وصلت جناح ابن عمك، إن اللّه یعوضك من ذلك بجناحین تطیر بهما فی الجنة).وبقیت هذه الكلمة الكریمة ترنُّ فی أعماق فتی أبی طالب وهو لا یحب أن یفارقها فی خواطره، عزیزة علیه كفجر ساحریمتد فی قلب السماء فیزیح عنه الظلام ویشتت منه طیوف المساء القاتم.ویعیش جعفر فی ظل هذه الاشراقة الإیمانیة، ویغمض عینیه فی كل لیلة علی خواطر عذبة تحمل من أمانی ابن عمه رسول الإنسانیة ما تفعم قلبه بالأمل والخیر والازدهار..وتتوثق الصلة بین الفتی المؤمن، وبین ابن عمه الداعی إلی الحق وكلما امتد الزمن ازدادت العلاقة، حتی یصبح جعفر عضواً فی الأسرة المؤمنة، وتعرف قریش بذلك وتثور علی هذا النبأ، إن عدد المؤمنین بهذه الرسالة الجدیدة بدأ یتضخم شیئاً فشیئاً، ولم یقف فی وجهها البطش والعنف، تزداد علی مر الأیام.وجعفر وإن كان فی مأمن من عقاب، وأذی الطغمة الحاقدة لأنه محفوظ بقوة أبیه، ولكنه لم یسلم من بقیة المشاكل التی لحقت بالصفوة الطیبة من صحابة النبی (صلی الله علیه وآله)..وقررت قریش مقاطعة بنی هاشم، كما قاطعت كل أصحاب محمد، وأمعنت فی إیذاء من تستطیع إیذاءه، وبكل صورة وكل أسلوب، وتعملق الاضطهاد قاسیاً علی هذه الطبقة، فقابلوه بصمود عجیب، وكلما تكاثرت المحن، وتواترت الخطوب، تقوت العزائم، وتضخم الصبر وتجلی الثبات.. فتحملت الصفوة الطیبة كل أنواع القسوة، فلم یشكو أحدهم إلی النبی ما یعانوه من الظلم كما لم یظهروا السأم أمامه. فكل شیء فی ذات اللّه یهون.وطرق الخبر أسماع قریش. وهالهم النبأ، فقد هاجر الكثیر من صحابة محمد حاملین لواء الدین الجدید. وطاش عقلهم فقد ذهلوا من ترویع ما أُصیبوا به.. فلت المستضعفون، والعبید من بین أیدیهم، وبقی الأقویاء الذین لا ـ سبیل لهم علی تعذیبهم وسیكون لهم شأن فی الخارج، فأخبار الدعوة تنتشر فی الخارج بعد ان كانت محصورة بمكة، وسیعطی المهاجرون عنها صورة رائعة المعالم شأن أی مخلص لقضیته.وانعقد المجلس فی دار الندوة یضم زعماء المعارضة، وكلهم أعصاب متفجرة من توسع هذه الدعوة، ویصرخ فیهم ابو جهل: أرأیتم كیف نجا أصحاب محمد، ولو قتلناهم لما امتد شرهم الی الخارج، لما انتشر خطرهم فی تلك الأرجاء، وما ندری ما وراء الأكمة لنا.وغصّ بكلامه، فقد مضَّ به التأثر بحیث انتفخت أوداجه وجحظت عیناه، ثم انبری له أمیة بن خلف، وجبل من الهم یجثم علی ملامحه، وهو یعالج الكلام، وماذا نعمل یا أبا الحكم وقد أُخذنا علی حین غرة؟.. أخبرنی ولا تلح بالتعزیر، وارفق بقومك من اللوم، ما العمل الآن؟ لم نقصر فی تعذیب المستضعفین ولم نتهاون فی شأن من نتمكن علیه بإنزال أقصی العقوبات، حتی مات من مات، ونجا من نجا.خیم وجوم علی الجالسین، وكلهم لاذوا فی تفكیر عمیق..وكان جل تفكیرهم بالطریقة التی یمكن استرداد هؤلاء المهاجرین من النجاشی.. وأخیراً انتهی بهم التفكیر الی حل.. وصاح بهم ابو سفیان: ما هو الحل یا قوم؟

قالوا: نطلبهم من النجاشى فإن لم يجبنا قاتلناه ونأخذهم بالجبر والقوة.. وضحك عالياً صخر بن حرب من هذا الرأى، وقال لهم: وكيف تفكرون بمثل هذا، وهل اننا نستطيع ان نقاوم ملك الحبشة؟ دعونا من الحرب، وفكروا فى طريقة اخرى.ومضت برهة من الزمن والقوم سكوت، وهم يبحثون عن وسيلة يجتثون بها الخطر الذى ربض لهم فى الحبشة، يهدد مصالحهم وأمجادهم البالية.وأدار صخر بن حرب عينيه المشبعتين بالحقد والشرر فى وجوه القوم، فلم ير منهم توصلاً الى حل، وتحدث وهو يدحرج الكلمات الملفعة بالألم والحزن، وكأنه يقتطعها من قلبه، قال: الرأى أن نرسل الى النجاشى وفداً يحمل له الهدايا والتحف ويقنعه على ان هؤلاء المهاجرين بغيتنا، ولنا معهم ثأر، فنطلبهم منه.. ثم سكت قليلاً، وعاود الحديث: وطبعاً هذا الأمر يتوقف – الى حد كبير – على قابلية الوفد، ولباقته، وحسن تصرفه..وكأن هذا الاقتراح أصاب قبولاً من الجالسين، فصاحوا كلهم: هو الرأى، لا عدمناك يا أبا سفيان، فأنت من يستشار ومن هو أولى منك بالعطف على آلهتنا.(ما أدرى بأيهما أنا أشد سروراً: بفتح خيبر، أم بقدم جعفر)؟.كانت ساعة رائعة عند النبى، وهو يستقبل الصفوة المؤمنة من صحابته الكرام الذين فارقوه منذ زمان حفاظاً على دينهم وأنفسهم.ثم مع آل أبى طالب فقبل قليل فتح اللّه خيبراً على يد على بن أبى طالب بعد ما ارتد عن فتحها أبطال وأبطال، ثم لقاء جعفر بن أبى طالب من هجرته منتصراً على الباطل، وهو يحمل مشعل الإسلام، وفى هذا كله ما يبعث على الاعتزاز.ولم يكن جعفر بعد عودته من الحبشة، قد اعتزل دنياه البطولية، فقد بدأ دوراً جديداً بعد عودته.. دور القائد الذى يكلف بمهام عسكرية لها أثرها البعيد على امتداد الإسلام، وتوسع آفاقه الرحبة.فلم تطُل السنة الثامنة من الهجرة – ولم يمر على عودته إلا عام واحد – حتى انتدبه الرسول القائد لمحاربة هرقل ملك الروم فى بلاد الشام.. واستعد المسلمون وحان يوم الوداع، وتأهب الجيش، وأعلن النبى عن قادة هذا الجيش: جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة، وعبد اللّه بن رواحة، يتناوبون على امارة الجيش..وفى مؤتة من أرض الشام، دارت الحرب حامية تهز الرجال عنيفة تثير الشهامة، وراية محمد ترف بيد الأبطال الثلاثة، لا يهابون الموت، ولا يخافون القتال. وجعفر من القادة الثلاث بطلاً عرفته البطولة كيف تنحاز اليه خاضعة، وشجاعاً مغواراً تمرَّن على تمثيلها خير تمثيل..وكلما استمر زمن الحرب، حمى وطيسها، وجعفر يحمل راية الإسلام، ويزحف بجيشه، ويغوص فى أعماقه، فيجندل هذا، ويهزم ذاك، حتى ضاقت الفرسان منه وصعب عيها أن تشق طريقها بين جثث القتلى، واضطر هو نفسه أن ينزل عن فرسه ليجول بين القوم – فلم تملك الخيل طريقاً تسلكه فى ساحة الميدان – غير هياب، ولا متزعزع.. بطل ولاـ كالأبطال ومحارب ولاـ كالمحاربين، ورث البطولة من أب وجد، وتمرَّس على الحروب وهو بعد لم يبلغ سن المحاربين، وفوق هذا وذاك انه محارب من أجل عقيدة، ومجاهد فى سبيل دعوة عاش أبعادها ووعى حقيقتها.وقطعت يده اليمنى فى ساحة القتال، ولم يشغله أمرها مهما كان الألم الذى هجم عليه، بل همه أن لا تنكس الراية التى يجول بها، وعيون المسلمين مشدودة اليها. وأخذها بشماله، وخاض غمار الحرب، وطاف فى خضمها، ولم يأبه بما أصيب، هكذا شأن الأبطال القادة، إنما جلُّ همه أن لا تسقط الراية فاحتضنها.

فى النهاية

وأخيراً، وليس آخراً..نصل بالقارئ الكريم الى الحلقة الأخيرة من القسم الأول من هذا الكتاب، ويسكت محدثنا الشيخ ابو معاذ – ونرجو أن لا يطول سكوته – وهو ينقلنا فى آفاق السيرة المباركة..نستنير بنورها، ونهتدى بهداها، ونحن فى خضم الأيام الصعبة من مسيرتنا التأريخية.. ونستجلى الروعة النضالية من حياة أبطالها الأفذاذ ليكونوا لنا خير قدوة فى الشوط الذى نقطعه فى مضمار الحياة.والروعة فى هؤلاء المجاهدين إخلاصهم لعقيدتهم.. وأروع منه أنهم يتهافتون على الموت عشاقاً من أجل رسالتهم دون ضجة وتهويل.

پاورقى

[۱] هكذا وصفه وحشى: ويريد بالجمل الأورق، الذى لونه بين الغبرة والسواد، سماه كذلك لما عليه من الغبار.

[۲] الحرة: كل أرض ذات حجارة سوداء.

[۳] قباء: قرية على ميلين من المدينة.

[۴] كان المنافقون يسمون المهاجرين: بالجلابيب.

[۵] يشير ابن هشام الى هذا المصطلح كان يقصد من الخزرج: الخزرج والأوس

[۶] الازر: النساء. والمرأة قد يكنى عنها بالازار، كما يكنى أيضاً بالازار عن النفس.

[۷] كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمى دمك، وهدمى هدمك، أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا.

[۸] برك الغماد: موضع بناحية اليمن، ويقال: هو أقصى هجر.

[۹] العدسة: قرحة كالطاعون قاتلة، شرح النهج: ۱۴ - ۱۸۲ هجرى ۱.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َيَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ یومٍ.

مركز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطَتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (كتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التّحرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الكمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمكِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مكتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنَّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیه اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریه
للحصول علی المکتبات الخاصه الاخری
ارجعوا الی عنوان المرکز من فضلکم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹